دلالة الوصف الرباني لحركة الجوارح في القرآن الكريم

A Significance of description of the movement of Organs in Holy Quran

الدكتورة. انتصار فاضل مخيف الكرعاوي

جامعة بغداد \ كلية التربية \ قسم علوم القرآن

Pro. Intisar Fadhil Mukheef Algaraawi

BAGHDAD UNIVERSITY – COLLEGE OF EDUCATION / SCIENCES OF QURAN DEP.

المقدمة

الحمد لله الواحد الأحد ،الفرد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم .

أما بعد :

فإن هذا البحث بدأ مع فكرة ترسخت في ذهني بعد اطلاعي على بعض آيات القران الكريم الخاصة بحركة الجوارح وكيف يصفها ربنا تبارك وتعالى وكلها تصب في استنطاق هذه الحركة الخاصة بالرأس واليد والجسد ، ولمعنى وضحه المفسرون فيه من حكمة الله تعالى لما ترمز له هذه الحركة من دلالة ظاهرة أو باطنة ، في طياتها بعض المعاني الكبيرة أطلق عليها المفسرون معنى الرمز والاشارة المستنبط من الحركة ، والتي لا تعلق لها بالنطق ولا بالأمر ولا بالنهي ؛ فوظفت هذه الدراسة لبيان ما قاله المفسرون لدرجات الدلالة سواء كانت لغوية أم بيانية أم بلاغية وهكذا، ولله الحمد والمنة على نعمه الظاهرة والباطنة .

وحاولت في هذا البحث ان اجمع ما تناثر من آيات تصف حركة الجوارح مبينة معناها ودلالتها ، فكانت دراستي مقسمة على خمسة مباحث :

المبحث الأول : **تعريف دلالة الوصف في اللغة والاصطلاح** .

المبحث الثاني : **دلالة الوصف الرباني لحركة الرأس في القرآن الكريم**.

المبحث الثالث : **دلالة الوصف الرباني لحركة اليد في القرآن الكريم** .

المبحث الرابع : **دلالة الوصف الرباني لتعابير الوجه في القرآن الكريم**.

المبحث الخامس : **دلالة الوصف الرباني لحركة الجسد في القرآن الكريم** .

وخاتمة مع فهارس البحث .

هذا وأدعو الله تعالى أن يتقبله خالصا لوجهه الكريم ، ويرزق كاتب حروفه مغفرة ورحمة وجنة عرضها السموات والأرض ....آمين .

المبحث الأول

تعريف دلالة الوصف في اللغة والاصطلاح .

المطلب الأول

تعريف الدلالة في اللغة .

دللت بهذا الطريق ؛ دلالة : عرفته . ودللت به ؛أدل ، دلالة . ثم إن المراد بالتسديد إراءة الطريق .[١]

تعريف الدلالة في الاصطلاح :

وفي الاصطلاح :الدلالة : (كون اللفظ متى أطلق أو أحس فهم منه معناه للعلم بوضعه . وهي منقسمة إلى المطابقة والتضمن والالتزام ؛ لأن اللفظ الدال بالوضع يدل على تمام ما وضع له بالمطابقة ، وعلى جزئه بالتضمن ، إن كان له جزء ، وعلى ما يلازمه في الذهن بالالتزام ، كالإنسان : فإنه *إيدل على تمام الحيوان الناطق ، بالمطابقة ، وعلى أحدهما بالتضمن ، وعلى قابل العلم بالالتزام ، كما هو مفصل في موضعه) .[٢]

ومن هذا فالدلالة : هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر ، والشيء الأول هو الدال ، والثاني هو المدلول ، وكيفية دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول محصورة في عبارة النص ، وإشارة النص ، ودلالة النص ، واقتضاء النص ، ووجه ضبطه أن الحكم المستفاد من النظم ، إما أن يكون ثابتا بنفس النظم أولا ، والأول إن كان النظم مسوقا له فهو العبارة ، وإلا فالإشارة ، والثاني إن كان الحكم مفهوما من اللفظ لغة فهو الدلالة ، أو شرعا فهو الاقتضاء ، فدلالة النص عبارة عما ثبت بمعنى النص لغة لا اجتهادا.[٣]

تعريف الوصف لغة :

(وصف الشيء له وعليه وصفا وصفة حلاه والهاء عوض من الواو وقيل الوصف المصدر والصفة الحلية الليث الوصف وصفك الشيء بحليته ونعته وتواصفوا الشيء من الوصف وقوله عز وجل وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون أراد ما تصفونه من الكذب واستوصفه الشيء سأله أن يصفه له

---

[١] تاج العروس من جواهر القاموس : محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، دار الهداية ، تحقيق : مجموعة من المحققين- (٢٨ / ٤٩٨)

[٢] التعريفات : علي بن محمد بن علي الجرجاني ، : دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٥ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : إبراهيم الأبياري (ص ١٣٩)

[٣] المصدر نفسه .

واتصف الشيء أمكن وصفه قال سحيم وما دمية من دمى ميسنا ن معجبة نظرا واتصافا ، واتصف من الوصف واتصف الشيء أي صار متواصفا قال طرفة بن العبد إني كفاني من أمر هممت به جار كجار الحذاقي الذي اتصفا أي صار موصوفا بحسن الجوار ووصف المهر توجه لحسن السير كأنه وصف الشيء ويقال للمهر إذا توجه لشيء من حسن السير قد وصف معناه أنه قد وصف المشي يقال مهر حين وصف ووصف المهر إذا جاد مشيه قال الشماخ إذا ما أدلجت وصفت يداها لها الإدلاج ليلة لا هجوع يريد أجادت السير).[٤]

تعريف الوصف في الاصطلاح :

(الوصف عبارة عما دل على الذات باعتبار معنى هو المقصود من جوهر حروفه أي يدل على الذات بصفة كأحمر فإنه بجوهر حروفه يدل على معنى مقصود وهو الحمرة فالوصف والصفة مصدران كالوعد والعدة والمتكلمون فرقوا بينهما فقالوا الوصف يقوم بالواصف والصفة تقوم بالموصوف وقيل الوصف هو القائم بالفاعل) .[٥]

وهناك ما يرمز اليه هذا الوصف من مراد الله تعالى منه ، والايماء بالجوارح الذي وصفه الله تعالى يكلل بمعان واحكام يسير بتوافق .

المبحث الثاني

دلالة الوصف الرباني للرأس في القرآن الكريم

حركة الرأس لها معان عديدة ، والايماء به يراد منه أمرا يغني به عن الكلام وهذا ما اتناوله في هذا المبحث ، وسأبين أقوال المفسرين في معنى كل حركة وكيف وصفها الله تعالى ، وموضعها الخاص بها ولاسيما ما اتفق عليه من معنى بينهم .

قال تعالى : (أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا)(٥١)الاسراء

الإنغاض هو: التحرك من أسفل إلى أعلى، أو من أعلى إلى أسفل، ومنه قيل للظليم -وهو ولد النعامة -: نغضًا؛ لأنه إذا مشى عَجِل في مشيته وحَرَّك رأسه. ويقال: نَغَضَت سنُّه إذا تحركت وارتفعت من مَنْبَتها؛ قال: الراجز.[٦]

---

[٤] لسان العرب : محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري : دار صادر - بيروت ، الطبعة : الأولى (٩ / ٣٥٦)

[٥] ينظر : التعريفات للجرجاني - (ص ٣٢٦)

[٦] ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن : محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر : دار الفكر - بيروت - ١٤٠٥ المسمى (تفسير الطبري) (٧٠/١٥).

وورد معنى { فَسَيُنْغِضُونَ } على معان متقاربة :

١. يهزون اليك رؤوسهم تعجبا بالخفض والرفع .

{ فَسَيُنْغِضُونَ } يهزون { إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ } تعجباً لقولك { وَيَقُولُونَ متى هُوَ } متى هذا الذي تعدنا.[٧]

{ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ } يقول: فإنك إذا قلت لهم ذلك، فسيهزُّون إليك رءوسهم برفع وخفض، وكذلك النَّغْض في كلام العرب، إنما هو حركة بارتفاع ثم انخفاض، أو انخفاض ثم ارتفاع، ولذلك سمي الظليم نَغْضا، لأنه إذا عجل المشي ارتفع وانخفض، وحرّك رأسه، كما قال الشاعر.

أسكّ نغْضًا لا يَنِي مُسْتَهْدِجا .[٨]

ويقال: نَغَضَت سنه: إذا تحرّكت وارتفعت من أصلها؛ ومنه قول الراجز:

ونَغَضَتْ مِنْ هَرِمٍ أسْنانُها .[٩] وقول الآخر: مَّا رأتْنِي أنْغَضَتْ ليَ الرأسا .[١٠]

٢. تحريك الرأس تكذيبا واستهزاءً وسخريةً وازدراءً .

عن قتادة، قوله: { فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ } أي يحرّكون رءوسهم تكذيبا واستهزاء. وقال في موضع آخر : يحرّكون رءوسهم . وعن ابن عباس، قوله: { فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ } يقول: سيحركونَها إليك استهزاء. وقال

---

[٧] تنوير المقباس من تفسير ابن عباس : الفيروز آبادي : دار الكتب العلمية - لبنان- (١ / ٢٩٩)

[٨] هذا بيت من مشطور الرجز للعجاج (ديوانه طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ٧) وهو السابع من أرجوزة مطولة . وفيه : " أصك " بالصاد ، في موضع " أسك " بالسين . والأسك : صفة من السكك ، وهو الصمم . وقيل : صغر الأذن ولزوقها بالرأس ، وقلة إشرافها . وقيل : قصرها ولصوقها بالحششاء ، يكون ذلك في الآدميين وغيرهم . قال : والنعام كلها سك وكذلك القطا . وأصل السكك الصمم . ا هـ . اللسان . وفي (اللسان : صكك) : الأصك والمصك : القوي الجسيم الشديد الخلق من الناس والإبل والحمير . وفي (نغض) : نغض الشيء نغضا : تحرك واضطرب ، وأنغض هو : حركة ا هـ . ولا يني : أي لا يفتر . وفيه أيضا (هدج) أورد البيت كرواية الديوان . قال : وهدج الظليم يهدج هدجانا واستهدج ، وهو مشى وسعى وعدو ، كل ذلك إذا كان في ارتعاش . قال العجاج يصف الظليم : " أصك .. إلخ " . ويروى مستهدجا (بكسر الدال) أي عجلان . وقال ابن الأعرابي : أي مستعجلا ، أي أفزع فر . والبيت شاهد على أن " النغض " في كلام العرب حركة بارتفاع ثم انخفاض أو بالعكس.

[٩] البيت من مشطور الرجز ، وهو من شواهد أبي عبيدة في (مجاز القرآن ١ : ٣٨٢) وعنه أخذه المؤلف . قال أبو عبيدة : " فسينغضون إليك رءوسهم " : مجازه : فسيرفعون ويحركون استهزاء منهم . ويقال : قد نغضت سن فلان : إذا تحركت وارتفعت من أصلها . قال : ونغضت من هرم أسنانها

[١٠] وهذا البيت أيضا شاهد بمعنى الذي قبله ، وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن (١ : ٣٨٢) جاء بعد الأول على أن أنغض الرأس بمعنى حركه ورفعه استهزاء بمن هو أمامه.

أيضا: يحرّكون رءوسهم يستهزءون ويقولون متى هو . وفي رواية : يهزءون .[١١] وهي بالمعنى نفسه .

٣. تحريك الرأس نحوك تعجبا وانكارا وازدراءً أو بالاستثقال والاستبطاء وهو من الاستعارة التمثيلية.

{ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ } يحركونها نحوك استبعاداً وتعجبا ، إنكارا واستهزاء ، أو قيل إنغاض الرؤوس تحريكا باضطراب ، وقيل : تحريكها بارتفاع وانخفاض ، وذلك استعارة تمثيلية ، والماضي أنفض بهمزة التعدية والثلاثي لازم تقول ننغض رأسه أي تحرك .[١٢]

{ فسينغضون اليك رؤوسهم } انغض حرك اي سيحرّ كونها نحوك تعجبا وانكارا . قاله قتادة . { . . . فسينغضون إليك رءُوسَهُم } قيل ، أي يحركون رؤوسهم استهزاء وتكذيباً ، قال الشاعر : قلت لها صلي فقالت مِضٍّ .. وحركت لي رأسها بالنغض .[١٣]

{ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤُوسَهُمْ } ، يهزون إليك رؤوسهم تعجباً من قولك ، يعني : يحركونها استهزاء بقولك : أي سيحركون رؤوسهم تحريك من يستثقله ويستبطئه .[١٤]

---

[١١] ينظر : تفسير جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد الآملي - (١٧ / ٤٦٧) ، تفسير حقي - (٧ / ٢٣٤)، تفسير مدارك الترتيل وحقائق التأويل - (٢ / ٢٠٣) ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي : دار إحياء التراث العربي - بيروت ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي - (٣ / ٤٥٣) ، بحر العلوم للسمرقندي الكتاب : بحر العلوم ، المؤلف : السمرقندي مصدر الكتاب : موقع التفاسير. http://www.altafsir.com - (٣ / ١٢) ، تفسير القرآن العظيم : إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء : دار الفكر - بيروت - ١٤٠١ - (٥ / ٨٥) .

[١٢] تفسير اطفيش تفسير اطفيش المؤلف : أطفيش – إباضي مصدر الكتاب : موقع التفاسير. http://www.altafsir.com - إباضي - (٥ / ٢٥٢)

[١٣] ينظر : النكت والعيون (تفسير الماوردي) ،: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري : دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - لا يوجد ، الطبعة : لا يوجد ، تحقيق : السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم- (٢ / ٤٣٢) أيسر التفاسير للجزائري - (٢ / ٣٥٠) ، البحر المديد : أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الثانية / ٢٠٠٢ م - ١٤٢٣ هـ- (٣ / ٣٣٩) ، التفسير الميسر - (٥ / ٤٥) ، الكشاف - (٣ / ٤٥٣) ، بحر العلوم للسمرقندي - (٣ / ١٢) ، تفسير ابن كثير - (٥ / ٨٥) .

[١٤] ينظر : بحر العلوم للسمرقندي - (ج ٣ / ص ١٢) أيسر التفاسير للجزائري - (ج ٢ / ص ٣٥٠) ، البحر المديد - (ج ٣ / ص ٣٣٩) ، التفسير الميسر - (ج ٥ / ص ٤٥) ، الكشاف - (ج ٣ / ص ٤٥٣) ، بحر العلوم للسمرقندي - (ج ٣ / ص ١٢) ، تفسير ابن كثير - (ج ٥ / ص ٨٥) .

{ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ } أي : يحركونها استهزاء. وهذا الذي قالاه هو الذي تفهمه العرب .ونَغَضَتْ مِنْ هَرَم أسنانها ...[١٥]

مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ (٤٣)ابراهيم

{ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ } مطأطئ رؤوسهم ويقال رافعي رؤوسهم ويقال مادي أعناقهم.[١٦]

{ مُهْطِعِينَ } مسرعين من قبورهم إلى إسرافيل إذ يدعوهم من صخرة بيت المقدس وهم مع ذلك فى ذلك واستكانة كإسراع الأسير ونحوه وذلك مخالف لحال الدنيا فإن الشاخص فيها يبقى واقفاً وذلك هو الراجح ، وقيل المهطع الخضيع . ومنه : الإهطاع شدة النظر إلى جهة واحدة وعليه فهو حال مؤكدة للشخوص وأصله الإقبال على الشيء ولذلك فسر بالإسراع وأن الإسراع إقبال وفسر بشدة النظر لأنه إقبال بالعين وأجازهما معنى المهطع الذى لا يرفع رأسه

{ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ } رافعيها إلى جهة السماء . قيل : وجوه الناس يومئذ إلى السماء لا ينظر أحد إلى أحد قيل وذلك بخلاف العادة لأن من يتوقع يطرق ببصره إلى الأرض ويحتمل أن يكون ذلك للهول الآتي من جهة السماء كنزول الملائكة وتقطع السموات وعلى تفسير ابن زيد يكون مقنعي حال مؤكدة للتي قبلها لأنه يفسر الإقناع بخفض الرأس من الذل كما ذكر مكى عن المبرد.[١٧]

{ مُهْطِعِينَ } أي : مسرعين من أهطع يهطع إهطاعاً : إذا أسرع . وقيل : المهطع : الذي ينظر في ذلّ وخشوع ، ومنه :

بدجلة دارهم ولقد أراهم ... بدجلة مهطعين إلى السماع .[١٨]

وقيل : المهطع : الذي يديم النظر . ومنه : قد يكون الوجهان جميعاً ، يعني : الإسراع مع إدامة النظر؛ وقيل : المهطع الذي لا يرفع رأسه . وفيه : المهطع الذي ينظر في ذلّ وخضوع . وقيل : هو الساكت . ومنه : والمعروف في اللغة أهطع : إذا أسرع { مُقْنِعِي رُؤُوسَهُمْ } أي : رافعي رؤوسهم ، وإقناع الرأس : رفعه ، وأقنع صوته : إذا رفعه ، والمعنى : أنهم يومئذٍ رافعون رؤوسهم إلى السماء ينظرون إليها نظر فزع وذلّ ، ولا ينظر بعضهم إلى بعض . وقيل : إن إقناع الرأس نكسه؛ وقيل : يقال : أقنع : إذا رفع رأسه ، وأقنع : إذا طأطأ ذلة وخضوعاً ، والآية محتملة للوجهين . قيل : والقول الأوّل أعرف في اللغة . قال الشاعر :

---

[١٥] تفسير ابن كثير - (ج ٥ / ص ٨٥)

[١٦] تنوير المقباس من تفسير ابن عباس - (ج ١ / ص ٢٧٣)

[١٧] هميان الزاد - إباضي - (ج ٦ / ص ٤٥١) مصدر الكتاب : موقع التفاسير. http://www.altafsir.com - إباضي

[١٨] البيت ليَزيد بن مُفرّغ الحِمْيَريّ .ينظر : مجاز القرآن لأبي عبيدة - (ج ١ / ص ٩٩).

{ لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ } أي : لا ترجع إليهم أبصارهم ، وأصل الطرف : تحريك الأجفان ، وسميت العين طرفاً ، لأنه يكون بها ، ومن إطلاق الطرف على العين قول الشاعر :

وأغض طرفي ما بدت لي جارتي ... حتى يُواري جارتي مأواها.[١٩]

{ مُهْطِعِينَ } أي : مسرعين من أهطع يهطع إهطاعاً : إذا أسرع . وقيل : المهطع : الذي ينظر في ذلّ وخشوع .

وقيل : المهطع : الذي يديم النظر . وفيه : قد يكون الوجهان جميعاً ، يعني : الإسراع مع إدامة النظر؛ وقيل : المهطع الذي لا يرفع رأسه . منه : المهطع الذي ينظر في ذلّ وخضوع . وقيل : هو الساكت . ولهم : والمعروف في اللغة أهطع : إذا أسرع { مُقْنِعِى رُؤُوسَهُمْ } أي : رافعي رؤوسهم ، وإقناع الرأس : رفعه ، وأقنع صوته : إذا رفعه ، والمعنى : أنهم يومئذٍ رافعون رؤوسهم إلى السماء ينظرون إليها نظر فزع وذلّ ، ولا ينظر بعضهم إلى بعض . وقيل : إن إقناع الرأس نكسه؛ وقيل : يقال : أقنع : إذا رفع رأسه ، وأقنع : إذا طأطأ ذلة وخضوعاً ، والآية محتملة للوجهين .[٢٠]

وأما قوله{ مُهْطِعِينَ } فإن أهل التأويل اختلفوا في معناه ، فقال بعضهم: معناه: مسرعين.

* وقيل :هو الخبب ، أو ما دون الخبب ، شكّ فيه ، يخبون وهم ينظرون. و{ مُهْطِعِينَ } قال: مسرعين. ومنطلقين عامدين إلى الداعي .

٢. وقال آخرون: معنى ذلك: مديمي النظر.

- قوله تعالى :{ مُهْطِعِينَ } يعني بالإهطاع: النظر من غير أن يطرف. وقيل: الإهطاع : التحميج الدائم الذي لا يَطْرَف.وعن بعضهم قوله تعالى : { مُهْطِعِينَ } قال: شدة النظر الذي لا يطرف.[٢١]

٣. وقال آخرون: معنى ذلك: لا يرفع رأسه.

- قيل في قوله تعالى { مُهْطِعِينَ } المهطع الذي لا يرفع رأسه. والإهطاع في كلام العرب بمعنى الإسراع أشهر منه: بمعنى إدامة النظر ، ومن الإهطاع بمعنى الإسراع ، قول الشاعر:

وبِمُهْطِعٍ سُرُحٍ كأنَّ زِمامَهُ... في رأسِ جِذْعٍ مِنْ أوَالَ مُشَذَّبِ [٢٢]

---

[١٩] فتح القدير للشوكاني - (ج ٤ / ص ١٥٧)والبيت لعنترة .

[٢٠] فتح القدير - (ج ٤ / ص ١٥٧). ينظر : تفسير اطفيش - إباضي - (ج ٤ / ص ٤٨٠)

[٢١] تفسير جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد الآملي - (ج ١٧ / ص ٣٠)

[٢٢] البيت أنشده ابن بري في (اللسان : أول . ونسبه لأنيف بن جبلة . وروايته فيه : أمَّا إذا اسْتَقْبَلْتَهُ فَكأنَّهُ ... لِلْعَيْنِ جِذْعٌ مِنْ أوَالَ مُشَذَّبُ ، وفي معجم ما استعجم للبكري : أول قرية بالبحرين ، وقيل جزيرة ، فإن كانت قرية فهي من قرى السيف (بكسر السين) يشهد

وقول الآخر:

بمُسْتَهطِعٍ رَسْلٍ كأنَّ جَدِيلَهُ... بقَيْدُومِ رَعْنٍ مِنْ صَوَامٍ مُمَنَّعُ [٢٣]

وقوله تعالى { مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ } يعني رافعي رءوسهم. وإقناع الرأس: رفعه ، ومنه قول الشماخ: يُباكِرْنَ العِضَاةَ بمُقْنَعاتٍ... نَوَاجِذُهُنَّ كالحِدَإِ الوَقِيعِ [٢٤].

يعني: أنهنّ يباكرن العضاة برؤسهن مرفوعات إليها لتتناول منها ، ومنه أيضا قول الراجز: أنْغَضَ نحْوِي رأسَهُ وأقْنَعا... كأنمَا أبْصَرَ شيْئا أطْمَعا .[٢٥]

في قوله تعالى { مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ } قال:الإقناع: رفع رءوسهم. وقالوا : رافعيها. وقيل: وجوه الناس يوم القيامة إلى السماء لا ينظر أحد إلى أحد. وقيل: رافعي رءوسهم. وقيل: الإقناع رفع رءوسهم. وله أيضا : المقنع الذي يرفع رأسه شاخصا بصره لا يطرف. وقوله تعالى : { لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ} يقول:

لذلك قول ابن مقبل ، وكأنها سفن بسيف أوال . والمهطع : (كما في اللسان) الذي يديم النظر مع فتح العينين . وقيل : الذي يقبل على الشيء ببصره ، فلا يرفعه عنه . والمهطع أيضا : المسرع الخائف ، لا يكون إلا مع خوف . وقد فسر بالوجهين جميعا قوله تعالى : (مهطعين إلى الداع) أ هـ . وقال في سرح : خيل سرح ، ناقة سرح في سيرها : أي سريعة ، وأورده المؤلف وأبو عبيدة في مجاز القرآن (١ - ٣٤٢) شاهدا على أن المهطع : المسرع .

[٢٣] أورده صاحب أساس البلاغة (هطع) قال : وهو في صفة ثور ، وممتع : بالتاء : أي طويل ، من الماتع . وفيه " رضام ، في محل : صوام . وفي (اللسان : قدم) قال : وقيدوم الجبل : أنف يتقدم منه ، وأنشد البيت وقال : صوام (كسحاب) اسم جبل . وقيدوم كل شيء : مقدمه وصدره . والمتهطع : كالمهطع ، وهو المسرع ، ورسل : سهل فيه لين . والجديل : حبل مفتول من أدم أو شعر ، يكون في عنق البعير أو الناقة ، والجمع : جدل . والجديل أيضا : الزمام المجدول من أدم . والرعن : أنف الجبل ، وصوام (كسحاب) : جبل قاله البكري وصاحب اللسان والممنع بالنون : المرتفع الذي لا يرتقي . وفي مجاز القرآن : الرسل : الذي لا يكلفك شيئا . بقيدوم : قدام . ورعن الجبل : أنفه ، وصؤام (بضم الصاد وهمز الواو) لم أجده كذلك ، وإنما هو صوام ، بفتح الصاد وبالواو ، بوزن سحاب .

[٢٤] البيت للشماخ بن ضرار (ديوانه ص ٥٦) والرواية فيه : يبادرن في موضع يباكرن ، وهما بمعنى . قال شارحه : يبادرن من المبادرة ، والعضاه : جمع عضاهة . وهي أعظم الشجر . والمقنعات : جمع مقنع : يريد أفواه الإبل . والنواجذ : أقصى الأضراس . والحدأ : جمع حدأة ، وهي فأس ذات رأسين . وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن : (١ - ٣٤٣) في تفسير " مقنعي رءوسهم " مجازه : رافعي رءوسهم . وأنشد بيت الشماخ ثم قال : أي برءوس مرفوعة إلى العضاه ، ليتناولن منه . والعضاه : كل شجرة ذات شوك . ونواجذهن : أضراسهن والحدأ : الفأس ، وأراد الذي ليس له خلف ، وجمعها : حدأ . والوقيع المرققة المحددة ، يقال : وقع حديدتك . والمطرقة يقال لها ميقعة . وفي (اللسان : حدأ) : الحدأ : شبه فاس تنقر به الحجارة ، وهو محدد الطرف . والحدأة : الفأس ذات الرأسين ، والجمع حدأ ، كقصبة وقصب ، وقال : شبه أسنانها بفئوس قد حددت .

[٢٥] أنغض رأسه : حركة كالمتعب . وأقنعه : رفعه . يقول : هز رأسه نحوي ، ورفعه يتأملني كما يتأمل شيئا فيه مطمع له . وهو كالذي قبله شاهد على أن الإقناع : هو الرفع .

لا ترجع إليهم لشدّة النظر أبصارهم .[٢٦]وقوله تعالى : { مُهْطِعِينَ } مسرعين إلى الداعي بذلة واستكانة كإسراع الأسير والخائف ، وقالوا : مقبلين للإصغاء.[٢٧] { مُهْطِعِينَ } مسرعين.قال : الإهطاع النَّسَلان كعَدْوِ الذئب.وقيل : مديمي النظر.

ومعنى "الإهطاع": أنهم لا يلتفون يمينًا ولا شمالا ولا يعرفون مواطن أقدامهم .{ مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ } أي: رافعي رؤوسهم.

قيل: المُقْنِعُ: الذي يرفع رأسه ويقبل ببصره على ما بين يديه .[٢٨]

وقيل : وجوه الناس يوم القيامة إلى السماء، لا ينظر أحدٌ إلى أحد.[٢٩]

والصفة الثانية : قوله : { مُهْطِعِينَ } وفي تفسير الإهطاع أقوال أربعة :

القول الأول : قيل هو الإسراع . أن الغالب من حال من يبقى بصره شاخصاً من شدة الخوف أن يبقى واقفاً ، فبين الله تعالى أن حالهم بخلاف هذا المعتاد ، فإنهم مع شخوص أبصارهم يكونون مهطعين ، أي مسرعين نحو ذلك البلاء .

القول الثاني : في الإهطاع معنى المهطع الذي ينظر في ذل وخشوع .

والقول الثالث : المهطع الساكت .

والقول الرابع : قال الليث : يقال للرجل إذا قر وذل أهطع .

الصفة الثالثة : قوله : { مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ } والإقناع رفع الرأس والنظر في ذل وخشوع ، فقوله : { مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ } أي رافعي رؤوسهم والمعنى أن المعتاد فيمن يشاهد البلاء أنه يطرق رأسه عنه لكي لا يراه ، فبين تعالى أن حالهم بخلاف هذا المعتاد وأنهم يرفعون رؤوسهم .[٣٠]

والمُهْطِع هو مَنْ يظهر من فَرْط تسرُّعه وكأن رقبته قد طالتْ، لأن المُهْطِع هو مَنْ فيه طُول، وهكذا تكون صورتهم مُفْزعة من فَرْط المهانة؛ فبصَرُ الواحد منهم شَاخِص إلى العذاب مُنجذب إليه بسرعة لا يتحكَّم فيها؛ ورأسه مرفوعة من فَرْط الهَوْل؛ ومُفْمَح بالأغلال.

---

[٢٦] تفسير جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد الآملي - (١٧ / ٣١)

[٢٧] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : العلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي : دار إحياء التراث العربي - بيروت- (٩ / ٤٠٥)

[٢٨] قال في غريب القرآن (١ / ٢٣٧) من القرطين لابن مطرف الكناني: "والمقنع رأسه: الذي رفعه، وأقبل بطرفه على ما بين يديه. والإقناع في الصلاة هو إتمامها".

[٢٩] تفسير البغوي : البغوي : دار المعرفة - بيروت ، تحقيق : خالد عبد الرحمن العك- (ج ٤ / ص ٣٥٩) ، وانظر : الوسيط لسيد طنطاوي - (ج ١ / ص ٢٤٤٣)

[٣٠] تفسير الرازي التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب : فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، الطبعة : الأولى ابو عبدالله الرازي - (ج ٩ / ص ٢٦٥) ، وانظر : بحر العلوم للسمرقندي - (ج ٢ / ص ٤٣٧)

ولا يستطيع الواحد منهم أن تجفل جفونه، وكأنها مفتوحةٌ رَغْماً عنه؛ وفؤاده هواء بمعنى: أنْ لا شيءَ قادرٌ على أن يدخله. ونحن نلحظُ ذلك حين نضع زجاجة فارغة في قلب الماء؛ فتخرج فقاقيع الهواء مقابلَ دخولِ الماء من فُوهتها.

ونعلم أن قَلْب المؤمن يكون ممتلئاً بالإيمان؛ أما الكافر المُلْحد فهو في مثل تلك اللحظة يستعرض تاريخه مع الله ومع الدين؛ فلا يجد فيها شيئاً يُطمئِن، وهكذا يكتشف أن فؤاده خَالٍ فارغ؛ لا يطمئن به إلى ما يُواجه به لحظة الحساب.

والسبب في هذا أن الأنسان في مثل هذه اللحظات يستعرض تاريخه مع الله، ويرى شريط عمله كله؛ فمَنْ قضي حياته وهو يُرضِي الله؛ لا بُدَّ أن يشعر بالراحة، ومَنْ قضى حياته وهو كافر مُلْحد فلا بُدّ أن يشعرَ بالمصير المُرْعب الذي ينتظره.[٣١]

مُهْطِعِينَ - مُسْرِعِي المَشْيِ إلى الدَّاعِي بِذِلَّةٍ .مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ - رَافِعِي رُؤُوسِهِمْ مُدِيمِي النَّظَرِ إلى الأَمَامِ . أفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ - قُلُوبُهُمْ خَالِيَةٌ لاَ تَعِي لِفَرْطِ الحَيرَةِ .[٣٢]

قوله تعالى : { مُهطعين } : مسرعين إلى الداعي؛ مذلة واستكانة ، كإسراع الأسير والخائف ونحوه ، أو مقبلين بأبصارهم ، لا يطرفون؛ هيبة وخوفاً ، { مُقنعي رؤوسهم } رافعيها إلى السماء كرفع الإبل رأسها عند رعيها أعالي الشجر . وذلك من شدة الهول ، أو من أجل الغل الذي في عنقه .[٣٣]

يوم يقوم الظالمون من قبورهم مسرعين لإجابة الداعي رافعي رؤوسهم لا يبصرون شيئًا لهول الموقف، وقلوبهم خالية ليس فيها شيء؛ لكثرة الخوف والوجل من هول ما ترى.[٣٤]

قال تعالى : { تَشْخَصُ فِيهِ الابصار } أي أبصارهم لا تقرّ في أماكنها من هول ما ترى { مُهْطِعِينَ } مسرعين إلى الداعي . وقيل : الإهطاع أن تقبل ببصرك على المرئي تديم النظر إليه لا تطرف { مُقْنِعِى رُؤُوسِهِمْ } رافعيها { لاَ يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ } لا يرجع إليهم أن يطرفوا بعيونهم ، أي : لا يطرفون ، ولكن عيونهم مفتوحة ممدودة من غير تحريك للأجفان . أو لا يرجع إليهم نظرهم فينظروا إلى أنفسهم .[٣٥]

{ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ } (٦٥)الانبياء

---

[٣١] تفسير الشعراوي - (ج / ص ١٧٧٩)وانظر : التفسير الميسر - (ج ٤ / ص ٢٩٥)

[٣٢] أيسر التفاسير لأسعد حومد - (١ / ١٧٩٤) ، وهو عند : أيسر التفاسير للجزائري - (٢ / ٢٧٠).

[٣٣] البحر المديد - (ج ٣ / ص ٢١٠) . وانظر : النكت والعيون - (ج ٢ / ص ٣٣٥)

[٣٤] التفسير الميسر - (ج ٤ / ص ٢٩٥) وانظر : لبحر المديد - (ج ٣ / ص ٢١٠)

[٣٥] الكشاف - (ج ٣ / ص ٢٩١) وانظر : أيسر التفاسير لأسعد حومد - (ج ١ / ص ١٧٩٤)

قال تعالى : { نُكِسُواْ} أصل النكس قلب الشيء بحيث يصير أعلاه أسفله ، ولا يلغو ذكر الرأس بل يكون من التأكيد أو يعتبر التجريد ، وقد يستعمل النكس لغة في مطلق قلب الشيء من حال إلى حال أخرى ويذكر الرأس للتصوير والتقبيح .

وهنا ثلاثة أوجه ، الأول : أنه الرجوع عن الفكرة المستقيمة الصالحة في تظليم أنفسهم إلى الفكرة الفاسدة في تجويز عبادتها مع الاعتراف بتقاصر حالها عن الحيوان فضلاً أن تكون في معرض الإلهية فمعنى { رُءوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلاء يَنطِقُونَ } لا يخفى علينا وعليك أيها المبكت بأنها لا تنطق أنها كذلك وإنا إنما اتخذناها آلهة مع العلم بالوصف ، والدليل عليه جواب إبراهيم عليه السلام الآتي ، والثاني : أنه الرجوع عن الجدال معه عليه السلام بالباطل في قولهم : { مَن فَعَلَ هذا بِئَالِهَتِنَا }[٣٦] وقولهم : { أأنت فَعَلْتَ هذا }[٣٧] إلى الجدال عنه بالحق في قولهم { لَقَدْ عَلِمْتَ } لأنه نفى للقدرة عنها واعتراف بعجزها وأنها لا تصلح للإلهية وسمي نكساً وإن كان حقاً لأنه ما أفادهم عقداً فهو نكس بالنسبة إلى ما كانوا عليه من الباطل حيث اعترفوا بعجزها وأصروا . وفي لباب التفسير ما يقرب منه مأخذاً لكنه قدر الرجوع عن الجدال عنه في قولهم : { إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظالمون }[٣٨] إلى الجدال معه عليه السلام بالباطل في قولهم : { لَقَدْ عَلِمْتَ } والثالث : أن النكس مبالغة في إطراقهم رؤوسهم خجلاً وقولهم : { لَقَدْ عَلِمْتَ } الخ رمى عن حيرة ولهذا أتوا بما هو حجة عليهم وجاز أن يجعل كناية عن مبالغة الحيرة وانخذال الحجة فإنها لا تنافي الحقيقة ، وهذا وجه حسن وكذلك الأول ، وكون المراد النكس في الرأي رواه أبو حاتم عن ابن زيد وهو للوجهين الأولين ، وقال مجاهد : { نُكِسُواْ على رُءوسِهِمْ } ردت السفلة على الرؤساء فالمراد بالرؤوس الرؤساء ، والأظهر عندي الوجه الثالث ، وأياً ما كان فالجار متعلق بنكسوا .

وجوز أن يتعلق بمحذوف وقع حالاً ، والجملة القسمية مقولة لقول مقدر أي قائلين { لَقَدِ } الخ ، والخطاب في { عَلِمَتِ } لإبراهيم عليه السلام لا لكل من يصلح للخطاب ، والجملة المنفية في موضع مفعولي علم إن تعدت إلى اثنين أو في موضع مفعول واحد إن تعدت لواحد ، والمراد استمرار النفي لا نفي الاستمرار كما يوهمه صيغة المضارع ، وقرأ بتشديد كاف { نُكِسُواْ } ، وقرأ

---

[٣٦] الأنبياء : ٥٩
[٣٧] الأنبياء : ٦٢
[٣٨] الأنبياء : ٦٤

{ نُكِسُواْ } بتخفيف الكاف مبنياً للفاعل أي نكسوا أنفسهم وقيل : رجعوا على رؤسائهم بناءاً على ما يقتضيه تفسير مجاهد .[٣٩]

{ وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ } (١٢)السجدة

معنى { نَاكِسُواْ رُءوسِهِمْ } : مطأطئوها حياء وندماً على ما فرط منهم في الدنيا من الشرك بالله والعصيان له .[٤٠]

وتنكيس الرؤوس هو من الذل واليأس والهم بحلول العذاب وتعلق نفوسهم بالرجعة إلى الدنيا.[٤١]

يعني لو ترى حالهم وتشاهد استخجالهم لترى عجباً .[٤٢] مطرقوها من الحياء والخزي .[٤٣]

أي: من الحياء والخجل.[٤٤]

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (٥)

قوله تعالى : { لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ }ومعناه : وإذا قيل لهؤلاء المنافقين: أقبلوا تائبين معتذرين عمَّا بدر منكم من سيِّئ القول وسفه الحديث، يستغفر لكم رسول الله ويسأل الله لكم المغفرة والعفو عن ذنوبكم، أمالوا رؤوسهم وحركوها استهزاءً واستكبارًا، وأبصرتهم -أيها الرسول- يعرضون عنك، وهم مستكبرون عن الامتثال لما طُلِب منهم.[٤٥]

أي عطفوها وهو كناية عن التكبر والاعراض على ما قيل؛ وقيل : هو على حقيقته أي حركوها استهزاءاً .[٤٦] عطفوها إعراضاً واستكباراً عن ذلك .[٤٧]

---

[٣٩] تفسير الألوسي - (ج ١٢ / ص ٤٢٢) وانظر : تفسير الرازي ابو عبدالله الرازي - (ج ١١ / ص ٣٤) و تفسير جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد الآملي - (ج ١٨ / ص ٤٦٢).

[٤٠] فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير : محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، دار النشر : دار الفكر - بيروت (ج ٦ / ص ٦) ، وانظر : الوجيز للواحدي - الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : علي بن أحمد الواحدي أبو الحسن ، : دار القلم ، الدار الشامية - دمشق ، بيروت - ١٤١٥ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي (ج ١ / ص ٧٢٢)

[٤١] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، اسم المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ، دار النشر : دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م ، الطبعة : الاولى ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد (٥ / ٢٨٢)

[٤٢] تفسير الرازي ابو عبدالله الرازي - (ج ١٢ / ص ٣٠٧)

[٤٣] تفسير الألوسي - (١٥ / ٥٠٠)

[٤٤] تفسير ابن كثير - (٦ / ٣٦٢)

[٤٥] التفسير الميسر - (١٠ / ١٤١)وانظر : النكت والعيون - (٤ / ٢٧٧) و المنتخب - (٢ / ٤٧٩).

[٤٦] تفسير الألوسي - (٢١ / ٢٥)

لوى الرجل راسه اماله والتشديد للتكثير لكثرة المحال وهى الرؤوس ، وقال القاشانى لضراوتهم بالامور الظلمانية فلا يألفون النور ولا يشتاقون اليه ولا الى الكمالات الانسانية لمسخ الصورة الذاتية .[٤٨]

المبحث الثالث :

دلالة الوصف الرباني لليد في القرآن الكريم .

أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (١٩) [البقرة/١٩]

«يجعلون» . الجواب : إلى أصحاب الصيب وهو وإن كان محذوفاً في اللفظ لكنه باقٍ في المعنى ولا محل لقوله يجعلون لكونه مستأنفاً لأنه لما ذكر الرعد والبرق على ما يؤذن بالشدة والهول فكأن قائلاً قال فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل يجعلون أصابعهم في آذانهم ثم قال فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق فقال : { يَكَادُ البرق يَخْطَفُ أبصارهم }[٤٩] السؤال الثاني عشر : رءوس الأصابع هي التي تجعل في الآذان فهلا قيل أناملهم؟ الجواب المذكور وإن كان هو الأصبع لكن المراد بعضه كما في قوله : { فاقطعوا أَيْدِيَهُمَا }[٥٠] المراد بعضهما .[٥١]

وهؤلاء المنافقون لم يضعوا الأنامل. ولكن كما قال الله سبحانه وتعالى: {يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم } ولم يقل أناملهم. وذلك مبالغة في تصوير تأثير الرعد عليهم. فكأنهم من خوفهم وذعرهم يحاول كل واحد منهم أن يدخل كل إصبعه في أذنه. ليحميه من هذا الصوت المخيف. فكأنهم يبالغون في خوفهم من الرعد.

ونلاحظ هنا أن الحديث ليس عن فرد واحد، ولكن عن كثيرين.. لأنه سبحانه وتعالى يقول { أصابعهم } نقول أن الأمر لجماعة يعني أمراً لكل فرد فيها، فإذا قال المدرس للتلاميذ أخرجوا أقلامكم، فمعنى ذلك أن كل تلميذ يخرج قلمه.. وإذا قال رئيس الجماعة اركبوا سياراتكم، فمعنى ذلك أن كل واحد يركب سيارته.. لذلك فإن معنى { يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم } أن كل واحد منهم يضع إصبعيه في أذنيه..

لماذا يفعلون ذلك؟! أنهم يفعلونه خوفا من الموت. لأن الرعد والبرق يصاحبهما الصواعق أحيانا، ولذلك فإنهم من مبالغتهم في الخوف يحس كل واحد منهم أن صاعقة ستقتله.. فكأنهم يستقبلون نعمة الله سبحانه وتعالى بغير

---

[٤٧] تفسير البيضاوي : البيضاوي ، دار النشر : دار الفكر - بيروت - (٥ / ٢٩٥)
[٤٨] تفسير حقي - (١٥ / ٣٤٠)
[٤٩] البقرة : ٢٠
[٥٠] المائدة : ٣٨
[٥١] تفسير الرازي ابو عبدالله الرازي - (ج ١ / ص ٣٥٣)

حقيقتها.. هم لا يرون النعمة الحقيقية في أن هذا المطر يأتي لهم بعوامل استمرار الحياة. ولكنهم يأخذون الظاهر في البرق والرعد. وكذلك المنافقون.. لا يستطيع الواحد منهم أن يصبر على شهوات نفسه ونزواتها.. إنه يريد ذلك العاجل ولا ينظر إلى الخير الحقيقي الذي وعد الله به عباده المؤمنين في الآخرة.. وهو ينظر إلى التكاليف كأنها شدة ومسألة تحمل النفس بعض المشاق. ويغفل عن حقيقة جزاء التكاليف في الآخرة. وكيف أنها ستوفر لهم النعيم الدائم.. تماما كما ينظر الإنسان إلى المطر على أنه ظلمة ورعد وبرق، وينسى أنه بدون هذا المطر من المستحيل أن تستمر حياته..

هم يأخذون هذه الظواهر على أنها كل شيء. بينما هي في الحقيقة تأتي لوقت قصير وتختفي، فهي قصيرة كالحياة الدنيا، وقتية. ولكن نظرتهم إليها وقتية ومادية لأنهم لا يؤمنون إلا بالدنيا وغفلوا عن الآخرة.. غفلوا عن ذلك الماء التي يبقى فترة طويلة، وتنبهوا إلى تلك الظواهر الوقتية التي تأتي مع المطر فخافوا منها وكان خوفهم منها يجعلهم لا يحسون بما في المطر من خير. والمنافقون يريدون أن يأخذوا خير الإسلام دون أن يقوموا بواجبات هذا الدين!![٥٢]

هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١١٩) [آل عمران/١١٩]

عضوا عليكم الأنامل من الغيظ } والمعنى : أنه إذا خلا بعضهم ببعض أظهروا شدة العداوة ، وشدة الغيظ على المؤمنين حتى تبلغ تلك الشدة إلى عض الأنامل ، كما يفعل ذلك أحدنا إذا اشتد غيظه وعظم حزنه على فوات مطلوبه ، ولما كثر هذا الفعل من الغضبان ، صار ذلك كناية عن الغضب حتى يقال في الغضبان : إنه يعض يده غيظاً وإن لم يكن هناك عض ، قال المفسرون : وإنما حصل لهم هذا الغيظ الشديد لما رأوا من ائتلاف المؤمنين واجتماع كلمتهم وصلاح ذات بينهم .[٥٣]

{ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ } أي لأجلكم { الانامل } أي أطراف الأصابع { مِنَ الغيظ} أي لأجل الغضب والحنق لما يرون من ائتلاف المؤمنين واجتماع كلمتهم ونصرة الله تعالى إياهم بحيث عجز أعداؤهم عن أن يجدوا سبيلاً إلى التشفي واضطروا إلى مداراتهم ، وعض الأنامل عادة النادم الأسيف العاجز ، ولهذا أشير به إلى حال هؤلاء وليس المراد أن هناك عضاً بالفعل .[٥٤]

---

[٥٢] تفسير الشعراوي - (ج / ص ٢٣)
[٥٣] تفسير الرازي ابو عبدالله الرازي - (ج ٤ / ص ٣٦٣)
[٥٤] تفسير الألوسي - (ج ٣ / ص ١٨٩)

{ وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأنامل مِنَ الغيظ } من أجله تأسفاً وتحسراً حيث لم يجدوا إلى التشفي سبيلاً . { قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ } دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الإسلام وأهله حتى يهلكوا به .[٥٥]

{ وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الانامل مِنَ الغيظ } تأسفاً ، وتحسراً ، حيث عجزوا عن الانتقام منكم ، والعرب تصف المغتاظ ، والنادم يعضّ الأنامل ، والبنان ، ثم أمره الله سبحانه بأن يدعو عليهم ، فقال : { قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ } وهو يتضمن استمرار غيظهم ما داموا في الحياة حتى يأتيهم الموت ، وهم عليه .[٥٦]

وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (١٠٨) [الأعراف/١٠٨، ١٠٩]

وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (٣٣) [الشعراء/٣٣]

وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (١٢) [النمل/١٢، ١٣]

هذه الآيات الثلاث لها وصف واحد لحركة جارحة اليد لسيدنا موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام وجاءت بألفاظ متقاربة لها المعنى نفسه والوصف نفسه .

وجذب يده من جيبه أو من جناحه فإذا هي بيضاء كاللبن من غير برص آية لفرعون، فإذا ردَّها عادت إلى لونها الأول، كسائر بدنه.[٥٧]

{ وَنَزَعَ يَدَهُ } أي أخرجها من جيبه لقوله تعالى : { ادخل يَدَكَ فِي جَيْبِكَ }[٥٨] أو من تحت أبطه لقوله سبحانه : { واضمم يَدَكَ إلى جَنَاحِكَ }[٥٩] والجمع بينهما ممكن في زمان واحد ، وكانت اليد اليمنى كما صرح به في بعض الآثار { فَإِذَا هِيَ بَيْضَاء للناظرين } أي بيضاء بياضاً نورانياً خارجاً عن العادة يجتمع عليه النظار .

وفي «القاموس» الكيد الكف أو من أطراف الأصابع إلى الكف ، وأصلها يدي بدليل جمعها على أيدي ولم ترد اليد عند الإضافة لما تقرر في محله ، وجاء في كلامهم يد بالتشديد وهو لغة فيه .[٦٠]

وهذه آية معجزة أخرى. وقوله: " ونزع " تعني إخراج اليد بعسر، كأن هناك شيئاً يقاوم إخراج اليد؛ لأنه لو كان إخراج اليد سهلاً، لما قال الحق: {

---

[٥٥] تفسير البيضاوي لناصر البيضاوي - (ج ١ / ص ٣٨٢)

[٥٦] فتح القدير للشوكاني - (ج ٢ / ص ١٧) وانظر : الوجيز للواحدي - (ج ١ / ص ١٠١)، تفسير البحر المحيط - (ج ٣ / ص ٣٥٨).

[٥٧] التفسير الميسر - (ج ٣ / ص ٦٩)

[٥٨] النمل : ١٢

[٥٩] طه : ٢٢

[٦٠] تفسير الألوسي - (ج ٦ / ص ٢٩٤)

وَنَزَعَ يَدَهُ } لأنَّ النزع يدل على أن شيئاً يقاوم، ومثال ذلك قوله الحق:{ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَآءُ... }[٦١]

لأن نزع الملك ليس مسألة سهلة؛ ففي الغالب يحاول صاحب الملك التشبث بملكه، لكن الحق ينزعه من هذا الملك. كذلك قوله: { وَنَزَعَ يَدَهُ } ، وهذا يدل على أن يده لها وضع، ونزع يده وإخراجها بشدة له وضع آخر، كأنها كانت في مكان حريص عليها. إذن ففيه لقطة بينت الإدخال، ولقطة بينت النزع، وهما عمليتان اثنتان. وقال سبحانه في آية ثانية:{ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ... }[٦٢]

و " الجيب " هو مكان دخول الرأس من الثوب، وإن كنا نسمي " الجيب " في أيامنا مطلق شيء نجعله وعاء لما نحب، وكان الأصل أن الإنسان حين يريد أن يحتفظ بشيء، يضعه في مكان أمامه وتحت يده، ثم صنع الناس الجيوب في الملابس، فسميت الجيوب جيوباً لهذا.

والحق قال في موضع آخر:{ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى }[٦٣]

إذن ففيه إدخال وإخراج، وكل آية جاءت بلقطة من اللقطات؛ فآية أوضحت دخول اليد في الجيب، وأخرى أوضحت ضم اليد إلى الجناح، وثالثة أوضحت نزع اليد، وهذه لقطات متعددة، تكوّن كلها الصورة الكاملة؛ لنفهم أن القصص في القرآن غير مكرَّر، فالتكرير قد يكون في الجملة. لكن كل تكرير له لقطة تأسيسية، وحين نستعرضه نتبين أركان القصة كاملة. فكل هذه اللقطات تجمَّع لنا القصة. وقلنا قبل ذلك: إن الصراع بين فرعون وموسى لا ينشأ إلا عن عداوة، وحتى يحتدم الصراع لابد أن تكون العداوة متبادلة، فلو كان واحد عدوًّا والثاني لا يشعر بالعداوة فلن يكون لديه لدد خصومة، وقد يتسامح مع خصمه ويأخذ أمر الخلاف هينا ويسامحه وتنفض المسألة. لكن الذي يجعل العداوة تستعر، ويشتد ويعلو لهيبها أن تكون متبادلة. وتأتي لنا لقطة في القرآن تثبت لنا العداوة من فرعون لموسى، ولقطة أخرى تثبت العداوة من موسى لفرعون، فالحق يقول:{ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ... }[٦٤]هذه تثبت العداوة من فرعون لموسى:{ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوّاً وَحَزَناً... }[٦٥]وهذه تثبت لأن موسى عدوٌّ لهم. وكلتا اللقطتين يُكمل بعضها بعضاً لتعطينا الصورة كاملة.

والحق هنا يقول: { وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّاظِرِينَ }[٦٦]

---

[٦١] آل عمران: ٢٦
[٦٢] النمل: ١٢
[٦٣] طه: ٢٢
[٦٤] طه: ٣٩
[٦٥] القصص: ٨
[٦٦] الأعراف: ١٠٨

ونعرف أن موسى كان أسمر اللون، لذلك يكون البياض في يده مخالفاً لبقية لون بشرته، ويده صارت بيضاء بحيث يراها الناس يلفتهم ضوؤها ويجذب أنظارهم، وهي ليست بيضاء ذلك البياض الذي يأتي في سُمرة نتيجة البرص، لا؛ لأن الحق قال في آية أخرى: { تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ... }[٦٧] وكل لقطة كما ترى تأتي لتؤكد وتكمل الصورة. إذن فقوله: { بَيْضَآءُ لِلنَّاظِرِينَ } يدل على أن ضوءها لامع وضئ، يلفت نظر الناس جميعاً إليها، ولا يكون ذلك إلا إذا كان لها بريق ولمعان وسطوع، وقوله: { بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ } يؤكد أن هذا البياض ليس مرضاً.[٦٨]

فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ (٧٠) [هود/٧٠، ٧١]

فلما رأى إبراهيم أيديهم لا تَصِل إلى العجل الذي أتاهم به ولا يأكلون منه، أنكر ذلك منهم، وأحس في نفسه خيفة وأضمرها، قالت الملائكة ـلما رأت ما بإبراهيم من الخوف-: لا تَخَفْ إنا ملائكة ربك أُرسلنا إلى قوم لوط لإهلاكهم.[٦٩]

{ فَلَمآ رَأَى } إبراهيم { أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ } يعني : لا تصل إلى الطعام { نَكِرَهُمْ } يقول : أنكرهم { وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً } يعني : وأضمر منهم خوفاً ، حيث لم يأكلوا من طعامه ، وظن أنهم لصوص . وذلك أنه في ذلك الزمان إذا لم يأكل أحد من طعام إنسان ، يخاف عليه عائلته ، { قَالُواْ لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إلى قَوْمِ لُوطٍ } بهلاكهم . وقال السدي : لما لم يأكلوا من الطعام ، قال لهم إبراهيم : ما لكم لا تأكلون طعامي؟ قالوا : إنا قوم لا نأكل طعاماً إلا بثمن . فقال إبراهيم : إن لطعامي ثمناً ، فأصيبوا منه . قالوا : وما ثمنه؟ قال : تذكرون اسم الله عليه في أوله ، وتحمدونه في آخره . فقال جبريل لميكائيل : حق له أن يتخذه الله خليلاً .[٧٠]

{ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ } أي إلى العجل الحنيذ إذ لم يمدوها إليه لأن الملائِكة لا تأكل ، وذلك بعد أن قربه إليهم وقال ألا تأكلون كما في سورة أُخرى ، وقيل لا تصل لأنهم يتناولون بغيرها وهو باطل لأن الملائِكة لا تعبث وتنزه عن إفساد الطعام ولو خيلوا له الأكل بذلك لم ينكرهم ولم يقل لهم ألا تأكلون { نَكِرَهُمْ } توحش منهم ولم تطمئِن نفسه إليهم حتى خاف أن يكونوا عدوا أو أرادوا قتله ، إذ لم يأكلوا لأن الجائِي إلى ضر لا يأكل ما قدم إليه المجيءُ إليه وأيضا دخلوا بدون استئْذان وفى غير وقت المجيءِ ، وأيضا لا يعرف سلاما فى زمانه وفى أرضه ، وقيل علمهم ملائِكة وخاف أنه بدل فجاءُوا لإهلاكه ، خاف على نفسه لأمر لم يرضه الله تعالى منه أو على قومه أو

---

[٦٧] طه: ٢٢

[٦٨] تفسير الشعراوي - (ج / ص ١٠٥٠)

[٦٩] التفسير الميسر - (ج ٤ / ص ٥٠)

[٧٠] بحر العلوم للسمرقندي - (ج ٢ / ص ٣٤٤)

عليه وعليهم وللملائِكة اطلاع على ما لم يطلع عليه الإنسان ، وفى حديث البخارى قالت الملائِكة : رب إن عبدك هذا يريد أن يعمل سيئَة إلخ وذلك بأمارة لا باطلاع على ما في القلب { وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً } أضمر أو بلغ فإنه من نكره لهم بلغ الخوف وأدركه { خِيفَةً } نوعا من الخوف قويا أو ضعيفاً أو متوسطا ولو علمهم ملائِكة لم يقدم لهم مأكولا ولا خاف منهم ولا سيما أنهم في صورة حسنة { قَالُوا } لما أحسوا من الخوف إلهاما من الله لهم ، أو لما رأوه من أثره في وجهه وكلامه ، ثم تذكرت أنه صرح لهم بالخوف كما في آية أُخرى : إنا منكم وجلون .[٧١]

{ فَلَمَّا رَءاهُ أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ } كناية عن أنهم لا يمدون إليه أيديهم ويلزمه أنهم لا يأكلون ، وقيل : { لا } كناية بناءاً على ما روي أنهم كانوا ينكتون اللحم بقداح في أيديهم وليس بشيء ، وفي القلب من صحة هذه الرواية شيء إذ هذا النكت أشبه شيء بالعبث ، والملائكة عليهم السلام يجلون عن مثله؛ و { رأى } قيل : علمية فجملة { لاَ تَصِلُ } مفعول ثان ، والظاهر أنها بصرية ، والجملة في موضع الحال ففيه دليل على أن من أدب الضيافة النظر إلى الضيف هل يأكل أولاً لكن ذكروا أنه ينبغي أن يكون بتلفت ومسارقة لا بتحديد النظر لأن ذلك مما يجعل الضيف مقصراً في الأكل أي لما شاهد منهم ذلك { نَكِرَهُمْ } أي نفرهم { وَأَوْجَسَ } أي استشعر وأدرك ، وقيل : أضمر { مِنْهُمْ } أي من جهتهم { خِيفَةً } أي خوفاً ، وأصلها الحالة التي عليها الإنسان من الخوف ، ولعل اختيارها بالذكر للمبالغة حيث تفرس لذلك مع جهالته لهم من قبل وعدم معرفته من أي الناس يكونون كما ينبىء عنه ما في الذاريات من قوله سبحانه حكاية عنه : { قَالَ سلام قَوْمٌ مُّنكَرُونَ } [٧٢]أنهم ملائكة ، وظن أنهم أرسلوا لعذاب قومه أو لأمر أنكره الله تعالى عليه { قَالُواْ } حين رأوا أثر ذلك عليه عليه السلام ، أو أعلمهم الله تعالى به ، أو بعد أن قال لهم ما في الحجر { إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ } [٧٣]فإن الظاهر منه أن هناك قولاً بالفعل لا بالقوة كما هو احتمال فيه على ما ستراه إن شاء الله تعالى ، وجوز أن يكون ذلك لعلمهم أن علمه عليه السلام أنهم ملائكة يوجب الخوف لأنهم لا ينزلون إلا بعذاب ، وقيل : إن الله تعالى جعل للملائكة مطلقاً ما لم يجعل لغيرهم من الاطلاع كما قال تعالى : { يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ } [٧٤]وفي «الصحيح» " قالت الملائكة رب عبدك

[٧١] تفسير اطفيش - إباضي - (ج ٤ / ص ٢٣٧)
[٧٢] الذاريات : ٢٥
[٧٣] الحجر : ٥٢
[٧٤] الإنفطار : ١٢

هذا يريد أن يعمل سيئة " الحديث ، وهو قول بأن الملائكة يعلمون الأمور القلبية .[٧٥]

فلما رأى إبراهيم أيديَهم لا تصل إلى العجل الذي أتاهم به، والطعام الذي قدّم إليهم ، نكرهم، وذلك أنه لما قدم طعامه صلى الله عليه وسلم إليهم ، فيما ذكر، كفّوا عن أكله، لأنهم لم يكونوا ممن يأكله. وكان إمساكهم عن أكله ، عند إبراهيم ، وهم ضيَفانه مستنكرًا. ولم تكن بينهم معرفةٌ، وراعه أمرهم، وأوجس في نفسه منهم خيفة.[٧٦]

عن قتادة:(فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة) ، وكانت العرب إذا نزل بهم ضيف فلم يطعم من طعامهم، ظنوا أنه لم يجئ بخير، وأنه يحدِّث نفسه بشرّ.[٧٧]

وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (٧) [نوح/٧]

{ جَعَلُواْ أصابعهم فِى ءاذانهم } أي سدوا مسامعهم عن استماع الدعوة فهو كناية عما ذكر ولا منع من الحمل على الحقيقة وفي نسبة الجعل إلى الأصابع وهو منسوب إلى بعضها وإيثار الجعل على الادخال ما لا يخفى { واستغشوا ثِيَابَهُمْ } أي بالغوا في التغطي بها كأنهم طلبوا من ثيابهم أن تغشاهم لئلا يروه كراهة النظر إليه من فرط كرهة الدعوة ففي التعبير بصيغة الاستفعال ما لا يخفى من المبالغة وكذا في تعميم آلة الإبصار وغيرها من البدن بالستر مبالغة في إظهار الكراهة ففي الآية مبالغة بحسب الكيف والكم وقيل بالغوا في ذلك لئلا يعرفهم عليه السلام فيدعوهم وفيه ضعف فإنه قيل عليه إنه يأباه ترتبه على قوله كلما دعوتهم اللهم إلا أن يجعل مجازاً عن إرادة الدعوة وهو تعكيس للأمر وتخريب للنظم { وَأَصَرُّواْ } أي اكبوا على الكفر والمعاصي وانهمكوا وجدوا فيها مستعار من أصر الحمار على العانة إذا أصر أذنيه أي رفعهما ونصبهما مستويين وأقبل عليها يكدمها ويطردها وفي ذلك غاية الذم لهم وعن جار الله لو لم يكن في ارتكاب المعاصي إلا التشبيه بالحمار لكفى به مزجرة كيف والتشبيه في أسوا أحواله وهو حال الكدم والسفاد وما ذكر من الاستعار قيل في أصل اللغة وقد صار الإصرار حقيقة عرفية في الملازمة والانهماك في الأمر وقال الراغب الإصرار التعقد في الذنب والتشديد فيه والإمتناع من الإقلاع عنه وأصله من الصر أي الشد ولعله لا يأبى ما تقدم بناء على أن الأصل الأول الشد والأصل الثاني ما سمعت أولا { واستكبروا } من اتباعي وطاعتي { استكبارا } عظيماً وقيل نوعاً من الاستكبار غير معهود والاستكبار طلب الكبر من غير

---

[٧٥] تفسير الألوسي - (٨ / ٢٩٩)، وانظر : تفسير ابن كثير - (٤ / ٣٣٢)، و تفسير البغوي - (٤ / ١٨٨)

[٧٦] تفسير جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد الآملي - (ج ١٥ / ص ٣٨٧)

[٧٧] المصدر نفسه .

استحقاق له .[٧٨]أولها : قوله : { جَعَلُواْ أصابعهم فِى ءاذانهم } والمعنى أنهم بلغوا في التقليد إلى حيث جعلوا أصابعهم في آذانهم لئلا يسمعوا الحجة والبينة .

وثانيها : قوله : { واستغشوا ثِيَابَهُمْ } أي تغطوا بها ، إما لأجل أن لا يبصروا وجهه كأنهم لم يجوزوا أن يسمعوا كلامه ، ولا أن يروا وجهه . وإما لأجل المبالغة في أن لا يسمعوا ، فإنهم إذا جعلوا أصابعهم في آذانهم ، ثم استغشوا ثيابهم مع ذلك ، صار المانع من السماع أقوى .

وثالثها : قوله : { وَأَصَرُّواْ } والمعنى أنهم أصروا على مذهبهم ، أو على إعراضهم عن سماع دعوة الحق .ورابعها : قوله : { واستكبروا استكبارا } أي عظيماً بالغاً إلى النهاية القصوى .[٧٩]

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١) [يوسف/٣١]

{ وَأَعْتَدَتْ } أي هيأت { لَهُنَّ مُتَّكَئًا } أي ما يتكئن عليه من النمارق والوسائد كما روى عن ابن عباس ، وهو من الاتكاء الميل إلى أحد الشقين ، وأصله موتكأ لأنه من توكأت فأبدلت الواو تاءاً وأدغمت في مثلها ، وروى عن الحبر أيضاً أن المتكأ مجلس الطعام لأنهم كانوا يتكؤن له كعادة المترفين المكبرين ، ولذلك نهى عنه ، فقد أخرج ابن أبي شيبة عن جابر رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى أن يأكل الرجل بشماله وأن يأكل متكئاً ، وقيل : أريد به نفس الطعام قال العتبي : يقال : اتكأنا عند فلان أي أكلنا؛ ومن ذلك قول جميل :

فظللنا بنعمة واتكأنا ... وشربنا الحلال من قلله

وهو على هذا اسم مفعول أي متكئاً له أو مصدر أي اتكاء ، وعبر بالهيئة التي يكون عليها الآكل المترف عن ذلك مجازاً ، وقيل : هو من باب الكناية ، وعن مجاهد أنه الطعام يحز حزاً بالسكين واختلفوا في تعيينه ، فقيل : كان لحماً وكانوا لا ينهشون اللحم وإنما يأكلونه حزاً بالسكاكين ، وقيل : كان أترجا . وموزاً . وبطيخاً ، وقيل : الزماورد وهو الرقاق الملفوف باللحم وغيره أو شيء شبيه بالأترج ، وكأنه إنما سمي ما يقطع بالسكين بذلك لأن عادة من يقطع شيئاً أن يعتمد عليه فيكون متكأ عليه ، وقرأ الزهري . وأبو جعفر . وشيبة متكى مشدد التاء من غير همز بوزن متقى وهو حينئذ إما أن يكون من الاتكاء وفيه تخفيف الهمزة كما قالوا في توضأت : توضيت ، أو يكون مفتعلاً من أوكيت

---

[٧٨] تفسير الألوسي - (ج ٢١ / ص ٣١١)وانظر : تفسير البغوي - (ج ٨ / ص ٢٣٠)و تفسير ابن كثير - (ج ٨ / ص ٢٣١)

[٧٩] تفسير الرازي ابو عبدالله الرازي - (ج ١٦ / ص ٥١)وانظر : تفسير حقي - (ج ١٦ / ص ١٤٥) وتفسير مدارك الترتيل وحقائق التأويل - (ج ٣ / ص ٤٧٠)

السقاء إذا شددته بالوكاء ، والمعنى أعتدت لهن ما يشتد عليه بالاتكاء أو بالقطع بالسكين ، وقرأ الأعرج متكأ على وزن مفعلاً من تكاء يتكأ إذا اتكأ ، وقرأ الحسن . وابن هرمز متكأ بالمد والهمز وهو مفتعل من الاتكاء إلا أنه أشبع الفتحة فتولدت منها الألف وهو كثير في كلامهم ، ومنه قوله : وأنت من الغوائل حين ترمى ... وعن ذم الرجال بمنتزاح

وقوله : ينباع من ذفرى عضوب حسرة ... زيافة مثل الفنيق المكرم ، وآخرون متكا بضم الميم وسكون التاء وتنوين الكاف ، وجاء ذلك عن ابن هرمز أيضاً ، وهو الأترج عند الأصمعي .[٨٠]

وجماعة والواحد متكة ، وأنشد : فأهدت (متكة) لبني أبيها ... تخب بها العثمثمة الوقاح

وقيل : هو اسم يعم جميع ما يقطع بالسكين كالأترج . وغيره من الفواكه ، وأنشد :

نشرب الاثم بالصواع جهارا ... ونرى (المتك) بيننا مستعاراً

وهو من متك الشيء بمعنى بتكه أي قطعه ، وعن الخليل تفسير المتك مضموم الميم بالعسل ، تفسيره بالشراب الخالص ، وحكى تثليث ميمه ، وفسره بالفالوذج ، وكذا حكى التثليث المفضل لكن فسره بالزماورد ، وذكر أنه بالضم المائدة أو الخمر في لغة كندة ، وبالفتح قرأ. ومعاذ رضي الله تعالى عنهما ، وفي الآية على سائر القراآت حذف أي فجئن وجلسن { وَءاتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مّنْهُنَّ سِكّينًا } .

وقال بعض المحققين : لا يبعد أن تسم هذه الواو فصيحة ، وإنما أعطت كل وحدة ذلك لتستعمله في قطع ما يعهد قطعه مما قدم بين أيديهن وقرب إليهن ، وغرضها من ذلك ما سيقع من تقطيع أيديهن لتبكتهنّ بالحجة .

وقيل : غرضها ذاك والتهويل على يوسف عليه السلام من مكرها إذا خرج على أربعين نسوة مجتمعات في أيديهن الخناجر توهمه أنهن يثبت عليه فيكون خائفاً من مكرها دائماً فلعله يجيبها إلى مرادها ، والسكين مذكر عند السجستاني قال : وسألت أبا زيد الأنصاري . والأصمعي . وغيرهم ممن أدركناه فكلهم يذكره وينكر التأنيث فيه ، وعن الفراء أنه يذكر ويؤنث . وذلك حكى عن اللحياني . ويعقوب ، ومنع بعضهم أن يقال : سكينة ، وأنشد عن الكسائي ما يخالف ذلك وهو قوله : الذئب سكينته في شدقه ... ثم قراباً نصلها في حلقه

---

[٨٠] تفسير الألوسي - (ج ٨ / ص ٤٩٩)وانظر : تفسير الرازي ابو عبدالله الرازي - (ج ٩ / ص ٣٢)و تفسير جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد الآملي - (ج ١٦ / ص ٦٨)و تفسير ابن كثير - (ج ٤ / ص ٣٨٤).

{ وَقَالَتِ } ليوسف عليه السلام وهن مشغولات بمعالجة السكاكين وإعمالها فيما بأيدهن ، والعطف بالواو ربما يشير إلى أن قوله : { اخرج عَلَيْهِنَّ } أي ابرز لهن لم يكن عقيب ترتيب أمورهنّ ليتم غرضها بهن .

والظاهر أنها لم تأمره بالخروج إلا لمجرد أن يرينه فيحصل مرامها ، وقيل : أمرته بالخروج عليهن للخدمة أو للسلام ، وقد أضمرت مع ذلك ما أضمرت يحكى أنها ألبسته ثياباً بيضاً في ذلك اليوم لأن الجميل أحسن ما يكون في البياض { فَلَمَّا رَأَيْنَهُ } عطف على مقدر يستدعيه الأمر بالخروج وينسحب عليه الكلام أي فخرج عليهن فرأينه ، وإنما حذف على ما قيل : تحقيقاً لمفاجأة رؤيتهن كأنها تفوت عند ذكر خروجه عليهن ، وفيه إيذان بسرعة امتثاله عليه السلام بأمرها فيما لا يشاهد مضرته من الأفاعيل . ونظير هذا آت كما مر آنفاً { أَكْبَرْنَهُ } أي أعظمنه ودهشن برؤية جماله الفائق الرائع الرائق ، فإن فضل جماله على جمال كل جميل كان كفضل القمر ليلة اليدر على سائر الكواكب .[٨١]

وأخرج ابن جرير . وغيره عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : رأيت يوسف ليلة المعراج كالقمر ليلة البدر ، وحكى أنه عليه السلام كان إذا سار في أزقة مصر تلألأ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس ، وجاء عن الحسن أنه أعطى ثلث الحسن ، وفي رواية عن أنس مرفوعاً أنه عليه السلام أعطى هو وأمه شطر الحسن وتقدم خبر أنه عليه اللاسم كان يشبه آدم عليه السلام يوم خلقه ربه ، وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن معنى أكبرن حضن ، ومن ذلك قوله : يأتي النساء على أطهارهن ولا ... يأتي النساء إذا أكبرن إكباراً وكأنه إنما سمي الحيض إكباراً لكون البلوغ يعرف به فكأنه يدخل الصغار سن الكبر فيكون في الأصل كناية أو مجازاً ، والهاء على هذا إما ضمير المصدر فكأنه قيل : أكبرن إكباراً . وإما ضمير يوسف عليه السلام على أسقاط الجار أي حضن لأجله من شدّة شبقهن ، والمرأة كما زعم الواحدي إذا اشتدّ شبقها حاضت ومن هنا أخذ المتنبي قوله :

خف الله واستر ذا الجمال ببرقع ... إذا لحت حاضت في الخدور العواتق

وقيل : إن الهاء للسكت ، ورد بأنها لا تحرك ولا تثبت في الولص ، وءجراء الوصل مجرى الوقف وتحريكها تشبيهاً لها بالضمير كما في قوله :

واحر قلباه ممن قلبه شبم ... ضعيف في العربية

على تسليم صحته ضعيف في العربية واعترض في «الكشف» التخريجين الأولين فقال : إن نزع الخافض ضعيف لأنه إنما يجري في الظروف والصفات والصلات ، وذلك لدلالة الفعل على مكان الحذف ، وأما في مثل هذا فلا ،

---

[٨١] تفسير الألوسي - (ج ٨ / ص ٥٠٠) وانظر : تفسير البغوي - (ج ٤ / ص ٢٣٦)و تفسير البيضاوي لناصر البيضاوي - (ج ٣ / ص ١٤٦).

والمصدر ليس من مجازه إذ ليس المقام للتأكيد ، وزعم أن الوجه هو الأخير ، وكل ما ذكره في حيز المنع كما لا يخفى .[٨٢]

وأنكر أبو عبيدة مجيء أكبرن بمعنى حضن ، وقال : لا نعرف ذلك في اللغة ، والبيت مصنوع مختلق لا يعرفه العلماء بالشعر ، ونقل مثل ذلك عن الطبري . وابن عطية . وغير واحد من المحققين ، ورواية ذلك عن ابن عباس إنما أخرجها ابن جرير . وابن المنذر . وابن أبي حاتم من طريق عبد الصمد ، وهو وإن روى ذلك عن أبيه علي عن أبيه ابن عباس لا يعول عليه فقد قالوا : إنه عليه الرحمة ليس من رواة العلم .

وعن الكميت الشاعر تفسير أكبرن بأمنين ، ولعل الكلام في ذلك كالكلام فيما تقدم تخريجاً وقبولاً ، وأنا لا أرى الكميت من خيل هذا الميدان وفرسان ذلك الشأن { وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ } أي جرحنها بما في أيديهن من السكاكين لفرط دهشتهن وخروج حركات جوارحهن عن منهاج الاختيار حتى لم يعلمن بما عملن ولم يشعرن بما ألم ما نالهن ، وهذا كما تقول : كنت أقطع اللحم فقطعت يدي ، وهو معنى حقيقي للتقطيع عند بعض .

وفي «الكشف» إنه معنى مجازي على الأصح ، والتضعيف للتكثير إما بالنسبة لكثرة القاطعات . وإما بالنسبة لكثرة القطع في يد كل واحدة منهن .[٨٣]

لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (١٤) [الرعد/١٤]

{ والذين يَدْعُونَ مِن دُونِهِ } يعني الآلهة الذين يدعونهم الكفار من دون الله : { لاَ يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْء } مما يطلبونه إلا استجابة كاستجابة باسط كفيه إلى الماء ، والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته إليه ، ولا يقدر أن يجيب دعاءه ويبلغ فاه ، فكذلك ما يدعونه جماد ، لا يحس بدعائهم ولا يستطيع إجابتهم ، ولا يقدر على نفعهم وقيل شبهوا في قلة فائد دعائهم لآلهتهم ، بمن أراد أن يغرف الماء بيديه ليشربه فيبسطها ناشراً أصابعه ولم تصل كفاه إلى ذلك الماء ولم يبلغ مطلوبه من شربه ، وقرىء { تَدْعُونَ } بالتاء { كباسط كَفَّيْهِ } بالتنوين ، ثم قال : { وَمَا دُعَاء الكافرين إِلى فِى ضلال } أي إلا في ضياع لا منفعة فيه ، لأنهم إن دعوا الله لم يجبهم وإن دعوا الآلهة لم تستطع إجابتهم .[٨٤]

{ إِلاَّ كباسط كَفَّيْهِ إِلَى الماء } أي لا يستجيبون شيئاً من الاستجابة وطرفاً منها إلا استجابة كاستجابة الماء لمن بسط كفيه إليه من بعيد يطلبه ويدعوه { لِيَبْلُغَ } أي الماء بنفسه من غير أن يؤخذ بشيء من إناء ونحوه { فَاهُ وَمَا هُوَ }

---

[٨٢] تفسير الألوسي - (ج ٩ / ص ١)

[٨٣] تفسير الألوسي - (ج ٩ / ص ١)وانظر : تفسير مدارك الترتيل وحقائق التأويل - (ج ٢ / ص ٦٤)و فتح القدير للشوكاني - (ج ٤ / ص ٢٤).

[٨٤] تفسير الرازي ابو عبدالله الرازي - (ج ٩ / ص ١٦١)

أي الماء { بِبَالِغِهِ } أي ببالغ فيه أبداً لكونه جماداً لا يشعر بعطشه وبسط يديه إليه ، وجوز أبو حيان كون { هُوَ } ضمير الفم والهاء في { *بالغه } ضمير الماء أي وما فوه ببالغ الماء لأن كلاً منهما لا يبلغ الآخر على هذه الحال .[٨٥]

وجوز بعضهم كون الأول ضمير { وَكَلْبُهُمْ باسط } والثاني ضمير «الماء» قال أبو البقاء : ولا يجوز أن يكون الأول عائداً على «باسط» والثاني عائداً على الفم لأن اسم الفاعل إذا جرى على غير من هو له لزم إبراز الفاعل فكان يجب على ذلك أن يقال : وما هو ببالغه الماء ، والجمهور على ما سمعت أولاً ، والغرض كما قال بعض المدققين نفي الاستجابة على البت بتصوير أنهم أحوج ما يكونون إليها لتحصيل مباغيهم أخيب ما يكون أحد في سعيه لما هو مظطر إليه ، والحاصل أنه شبه آلهتهم حين استكفائهم إياهم ما أهمهم بلسان الاضطرار في عدم الشعور فضلاً عن الاستطاعة للاستجابة وبقائهم لذلك في الخسار بحال ماء بمرأى من عطشان باسط كفيه إليه يناديه عبارة وإشارة فهو لذلك في زيادة الكباد والبوار ، والتشبيه على هذا من المركب التمثيلي في الأصل أبرز في معرض التهكم حيث أثبت أنهما استجابتان زيادة في التخسير والتحسير ، فالاستثناء مفرغ من أعم عام المصدر كما أشرنا إليه ، والظاهر أن الاستجابة هناك مصدر من المبنى للفاعل وهو الذي يقتضيه الفعل الظاهر ، وجوز أن يكون من المبني للمفعول ويضاف إلى الباسط بناءاً على استلزام المصدر من المبني للفاعل للمصدر من المبني للمفعول وجوداً وعدماً فكأنه قيل : لا يستجيبون لهم بشيء فلا يستجاب لهم استجابة كائنة كاستجابة من بسط كفيه إلى الماء كما في قول الفرزدق :

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع ... من المال إلا مسحت أو مجلف أي لم يدع فلم يبق إلا مسحت أو مجلف . وأبو البقاء يجعل الاستجابة مصدر المبني للمفعول وإضافته إلى { باسط } من باب إضافة المصدر إلى مفعوله كما في قوله تعالى : { لاَّ يَسْئَمُ الانسان مِن دُعَاء الخير } [٨٦]والفاعل ضمير { الماء } على الوجه الثاني في الموصول ، وقد يراد من بسط الكفين إلى الماء بسطهما أي نشر أصابيعهما ومدها لشربه لا للدعاء ، والإشارة إليه كما أشرنا إليه فيما تقدم ، وعلى هذا قيل : شبه الداعون لغير الله تعالى بمن أراد أن يغرف الماء بيديه فبسطهما ناشراً أصابعه في أنهما لا يحصلان على طائل ، وجعل بعضهم وجه الشبه قلة الجدوى ، ولعله أراد عدمها لكنه بالغ بذكر القلة وإرادة العدم دلالة على هضم الحق وإيثار الصدق ولإشمام طرف من التهكم ، والتشبيه على هذا من تشبيه المفرد المقيد كقولك لمن لا يحصل من سعيه على شيء : هو كالراقم على الماء؛ فإن المشبه هو الساعي مقيداً بكون سعيه كذلك والمشبه به هو الراقم مقيداً بكونه على الماء كذلك فيما نحن فيه ، وليس من المركب العقلي

[٨٥] تفسير الألوسي - (ج ٩ / ص ٢٢٩)
[٨٦] فصلت : ٤٩

في شيء على ما توهم . نعم وجه الشبه عقلي اعتباري والاستثناء مفرغ عن أعم عام الأحوال أي لا يستجيب الآلهة لهؤلاء الكفرة الداعين إلا مشبهين أعني الداعين بمن بسط كفيه ولم يقبضهما وأخرجهما كذلك فلم يحصل على شيء لأن الماء يحصل بالقبض لا بالبسط .[٨٧] وروي عن علي كرم الله تعالى وجهه أن ذلك تشبيه بعطشان على شفير بئر بلا رشاء ولا يبلغ قعر البئر ولا الماء يرتفع إليه ، وهو راجع إلى الوجه الأول وليس مغايراً له كما قيل ، وعن أبي عبيدة أن ذلك تشبيه بالقابض على الماء في أنه لا يحصل على شيء ، ثم قال : والعرب تضرب المثل في الساعي فيما لا يدركه بذلك ، وأنشد قول الشاعر :

فأصبحت فيما كان بيني وبينها ... من الود مثل القابض الماء باليد

وقوله : وإني وإياكم وشوقاً إليكم ... كقابض ماء لم تسعه أنامله

وهو راجع إلى الوجه الثاني خلا أنه لا يظهر من { باسط } معنى قابض فإن بسط الكف ظاهر في نشر الأصابيع ممدودة كما في قوله :

تعود بسط الكف حتى لو أنه ... أراد انقباضاً لم تطعه أنامله

وكيفما كان فالمراد بباسط شخص باسط أي شخص كان ، وما يقتضيه ظاهر ما روي عن بكير بن معروف من أنه قابيل حيث أنه لما قتل أخاه جعل الله تعالى عذابه أن أخذ بناصيته في البحر ليس بينه وبين الماء إلا إصبع فهو يريده ولا يناله مما لا ينبغي أن يعول عليه . وقرىء { كباسط كَفَّيْهِ } بالتنوين أي كشخص يبسط كفيه { وَمَا دُعَاء الكافرين إِلاَّ فِى ضلال } أي في ضياع وخسار وباطل ، والمراد بهذا الدعاء إن كان دعاء آلهتهم فظاهر أنه كذلك لكنه فهم من السابق وحينئذٍ يكون مكرراً للتأكيد ، وإن كان دعاءهم الله تعالى فقد استشكلوا ذلك بأن دعاء الكافرين قد يستجاب وهو المصرح به في الفتاوى ، واستجابة دعاء إبليس وهو رأس الكافر نص في ذلك . وأجيب بأن المراد دعاؤهم الله تعالى بما يتعلق بالآخرة ، وعلى هذا يحمل ما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما من أن أصوات الكفار محجوبة عن الله تعالى فلا يسمع دعاؤهم ، وقيل : يجوز أن يراد دعاؤهم مطلقاً ولا يقيد بما أجيبوا به .[٨٨]

وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢) [الكهف/٤٢]

{ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ } ويحتمل أن تكون أصبح بمعنى صار فلا تدل على تقييد الخبر بالصباح ، ويجري هذان الأمران في { تصبح }[٨٩] و{ يصبح }[٩٠] السابقين ، ومعنى تقليب الكفين على ما استظهره أبو حيان أن يبدي بطن كل

---

[٨٧] تفسير الألوسي - (ج ٩ / ص ٢٣٠)

[٨٨] تفسير الألوسي - (ج ٩ / ص ٢٣١)

[٨٩] الكهف : ٤٠

[٩٠] الكهف : ٤١

منهما ثم يعوج يده حتى يبدو ظهر كل يفعل ذلك مراراً ، وقال غير واحد : هو أن يضع باطن إحداهما على ظهر الأخرى ثم يعكس الأمر ويكرر ذلك ، وأياً ما كان فهو كناية عن الندم والتحسر وليس ذلك من قولهم : قلبت الأمر ظهراً لبطن كما في قول عمرو بن ربيعة : وضربنا الحديث ظهراً لبطن ... وأتينا من أمرنا ما اشتهينا

فإن ذلك مجاز عن الانتقال من بعض الأحاديث إلى بعض ، ولكونه كناية عن الندم .[٩١]

{ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا } وقال قتادة: يُصفّق كفيه متأسفًا متلهفًا على الأموال التي أذهبها عليه .[٩٢] أي يصفق يده على الأخرى ندامة .[٩٣] وتحَقّقَ ما قاله المؤمن، ووقع الدمار بالحديقة، فهلك كل ما فيها، فصار الكافر يُقَلِّب كفيه حسرةً وندامة على ما أنفق فيها، وهي خاوية قد سقط بعضها على بعض، ويقول: يا ليتني عرفت نِعَمَ الله وقدرته فلم أشرك به أحدًا. وهذا ندم منه حين لا ينفعه الندم.[٩٤]

{ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ } أي: يصفق بيده على الأخرى ويقلب كفيه ظهرا لبطن تأسفا وتلهفا.[٩٥]

وتقليب الكفّين كناية عن الندم ، لأن النادم يفعل ذلك تحسراً ، يكرر جعل ما بطن من يده إلى جهة الأرض ، ثم إلى جهة السماء ، أو يضع باطن إحداهما على ظهر الأخرى ، ويعكس ، والتكرير مأخوذ من التشديد ، وهو يفيد المبالغة أيضًا ، ولو في مرة ، ومأخوذ من حال النادم كما تقول : الإنسان يأكل ويشرب ، على تضمين التقليب معنى الندم ، أو للتعليل أي لأجل ما أنفق عليها بالشراء وبالإصلاح بعد الشراء ، وما تقوم به . ومعنى الإحاطة بثمره إهلاك ثماره التي في الجنة ، أو إهلاك أمواله وفى أحيط بثمره استعارة تمثيلية بأن شبه هيئة توجه الإهلاك إلى أمواله ، واستئصالها به من حيث لا يدرى بهيئة توجه العدد على غفلة ، إلى قوم من كل جهة ، والإيقاع بهم ، واستئصالهم ، وذلك هو ما حذره به صاحبه المؤمن ، ولم يلق له بالا ، أو ذلك على الاستعارة التبعية ، أو الكناية .[٩٦]

وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) [الفرقان/٢٧]

الصفة الرابعة : قوله : { وَيَوْمَ يَعَضُّ الظالم على يَدَيْهِ } وفيه مسائل :

---

[٩١] تفسير الألوسي - (ج ١١ / ص ٢٦٢)
[٩٢] تفسير ابن كثير - (ج ٥ / ص ١٦٠)
[٩٣] بحر العلوم للسمرقندي - (ج ٣ / ص ٤٨)
[٩٤] التفسير الميسر - (ج ٥ / ص ١٤٢)
[٩٥] تفسير البغوي - (ج ٥ / ص ١٧٣)
[٩٦] تفسير اطفيش - إباضي - (ج ٥ / ص ٣٧٣)

المسألة الأولى : الألف واللام في الظالم فيه قولان : أحدهما : أنه للعموم والثاني : أنه للمعهود ، والقائلون بالمعهود على قولين : الأول : قال ابن عباس المراد عقبة بن أبي معيط بن أمية بن عبد شمس كان لا يقدم من مقر إلا صنع طعاماً يدعو إليه جيرته من أهل مكة ويكثر مجالسة الرسول ويعجبه حديثه فصنع طعاماً ودعا الرسول فقال صلى الله عليه وسلم ما آكل من طعامك حتى تأتي بالشهادتين ففعل فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم من طعامه فبلغ أمية بن خلف فقال صبوت يا عقبة وكان خليله فقال إنما ذكرت ذلك ليأكل من طعامي فقال لا أرضى أبداً حتى تأتيه فتبزق في وجهه وتطأ على عنقه ففعل ، فقال عليه السلام لا ألقاك خارجاً من مكة إلا علوت رأسك بالسيف فنزل { وَيَوْمَ يَعَضُّ الظالم على يَدَيْهِ } ندامة يعني عقبة يقول : يا ليتني لم أتخذ أمية خليلاً لقد أضلني عن الذكر . أي صرفني عن الذكر وهو القرآن والإيمان بعد إذ جاءني مع محمد صلى الله عليه وسلم فأسر عقبة يوم بدر فقتل صبراً ولم يقتل يومئذ من الأسارى غيره وغير النضر بن الحارث الثاني : قالت الرافضة : هذا الظالم هو رجل بعينه وإن المسلمين غيروا اسمه وكتموه وجعلوا فلاناً بدلاً من اسمه ، وذكروا فاضلين من أصحاب رسول الله ، واعلم أن إجراء اللفظ على العموم ليس لنفس اللفظ ، لأنا بينا في أصول الفقه أن الألف واللام إذا دخل على الاسم المفرد لا يفيد العموم بل إنما يفيده للقرينة من حيث إن ترتيب الحكم على الوصف مشعر بعلية الوصف ، فدل ذلك على أن المؤثر في العض على اليدين كونه ظالماً وحينئذ يعم الحكم لعموم علته وهذا القول أولى من التخصيص بصورة واحدة لأن هذا الذي ذكرناه يقتضي العموم ، ونزوله في واقعة أخرى خاصة لا ينافي أن يكون المراد هو العموم حتى يدخل فيه تلك الصورة وغيرها ولأن المقصود من الآية زجر الكل عن الظلم وذلك لا يحصل إلا بالعموم ، وأما قول الرافضة فذلك لا يتم إلا بالطعن في القرآن وإثبات أنه غير وبدل ولا نزاع في أنه كفر .[٩٧]

المسألة الثانية : استدلت المعتزلة بقوله : { وَيَوْمَ يَعَضُّ الظالم على يَدَيْهِ } قالوا الظالم يتناول الكافر والفاسق ، فدل على أن الله تعالى لا يعفو عن صاحب الكبيرة والكلام عليه تقدم .

المسألة الثالثة : قوله : { يَعَضُّ الظالم على يَدَيْهِ } قال الضحاك : يأكل يديه إلى المرفق ثم تنبت فلا يزال كذلك كلما أكلها نبتت ، وقال أهل التحقيق هذه اللفظة مشعرة بالتحسر والغم ، يقال عض أنامله وعض على يديه .

المسألة الرابعة : كما بينا أن الظالم غير مخصوص بشخص واحد بل يعم جميع الظلمة فكذا المراد بقوله فلاناً ليس شخصاً واحداً بل كل من أطيع في

[٩٧] تفسير الرازي ابو عبدالله الرازي - (ج ١١ / ص ٤١٣)

معصية الله ، واستشهد القفال بقوله : { وَكَانَ الكافر على رَبّهِ ظَهِيراً }[٩٨] ، { وَيَقُولُ الكافر ياليتنى كُنتُ ترابا } [٩٩]يعني به جماعة الكفار .

المسألة الخامسة : قرىء { يا ويلتي } بالياء وهو الأصل لأن الرجل ينادي ويلته وهي هلكته يقول لها : تعالى فهذا أوانك ، وإنما قلبت الياء ألفاً كما في صحارى و (عذارى) .

المسألة السادسة : قوله : { عَنِ الذكر } أي عن ذكر الله أو القرآن وموعظة الرسول ويجوز أن يريد نطقه بشهادة الحق (وغيرته) على الإسلام والشيطان إشارة إلى خليله سماه شيطاناً لأنه أضله كما يضل الشيطان ثم خذله ولم ينفعه في العاقبة ، أو أراد إبليس فإنه هو الذي حمله على أن صار خليلاً لذلك المضل ومخالفة الرسول ثم خذله أو أراد الجنس وكل من تشيطن من الجن والإنس ، ويحتمل أن يكون { وَكَانَ الشيطان } حكاية كلام الظالم وأن يكون كلام الله .[١٠٠]

المبحث الرابع :

دلالة الوصف الرباني لتعابير الوجه في القرآن الكريم.

{ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ (٢٩) }[١٠١]

{وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (٧١) }[١٠٢]

{ فَضَحِكَتْ } سروراً بزوال الخيفة أو بهلاك أهل الخبائث . أو كان ضحكها ضحك إنكار لغفلتهم وقد أظلهم العذاب . وقيل : كانت تقول لإبراهيم : اضمم لوطاً ابن أخيك إليك فإني أعلم أنه ينزل بهؤلاء القوم عذاب ، فضحكت سروراً لما أتى الأمر على ما توهمت . وقيل ضحكت فحاضت . وقرأ محمد بن زياد الأعرابي «فضحكت» بفتح الحاء { يَعْقُوبَ } رفع بالابتداء ، كأنه قيل : ومن وراء إسحاق يعقوب مولود أو موجود ، أي من بعده . وقيل الوراء : ولد الولد . قيل لبعضهم : أهذا ابنك؟ فقال نعم ، من الوراء ، وكان ولد ولده.[١٠٣]

واختلفوا في سبب ضحكها، قيل: ضحكت لزوال الخوف عنها وعن إبراهيم حين قالوا: لا تخف. وقيل : لما قرّب إبراهيم الطعام إليهم فلم يأكلوا خاف إبراهيم وظنهم لصوصا فقال لهم: ألا تأكلون؟ قالوا: إنا لا نأكل طعاما إلا

---

[٩٨] الفرقان : ٥٥

[٩٩] النبأ : ٤٠

[١٠٠] تفسير الرازي ابو عبدالله الرازي - (ج ١١ / ص ٤١٤)

[١٠١] الذاريات/٢٩

[١٠٢] هود/٧١

[١٠٣] الكشاف - (ج ٣ / ص ١٠٣)

بثمن، فقال إبراهيم: فإن له ثمنا، قالوا وما ثمنه؟ قال تذكرون اسم الله على أوله وتحمدونه على آخره، فنظر جبريل إلى ميكائيل وقال: حُقَّ لهذا أن يتخذه ربه خليلا. فلما رأى إبراهيم وسارة أيديهم لا تصل إليه ضحكت سارة، وقالت: يا عجبا لأضيافنا إنا نخدمهم بأنفسنا تكرمة لهم وهم لا يأكلون طعامنا.[١٠٤]

{ فَضَحِكَتْ } سروراً بزوال الخيفة أو بهلاك أهل الفساد أو بإصابة رأيها فإنها كانت تقول لإبراهيم : اضمم إليك لوطاً فإني أعلم أن العذاب ينزل بهؤلاء القوم .[١٠٥]

قال تعالى : { فَضَحِكَتْ فبشرناها بإسحاق } واختلفوا في الضحك على قولين : منهم من حمله على نفس الضحك ، ومنهم من حمل هذا اللفظ على معنى آخر سوى الضحك . أما الذين حملوه على نفس الضحك فاختلفوا في أنها لم ضحكت ، وذكروا وجوهاً : الأول : قال القاضي إن ذلك السبب لا بد وأن يكون سبباً جرى ذكره في هذه الآية ، وما ذاك إلا أنها فرحت بزوال ذلك الخوف عن إبراهيم عليه السلام حيث قالت الملائكة : { لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إلى قَوْمِ لُوطٍ } وعظم سرورها بسبب سروره بزوال خوفه ، وفي مثل هذه الحالة قد يضحك الإنسان ، وبالجملة فقد كان ضحكها بسبب قول الملائكة لإبراهيم عليه السلام { لاَ تَخَفْ } فكان كالبشارة ، فقيل لها : نجعل هذه البشارة بشارتين ، فكما حصلت البشارة بزوال الخوف ، فقد حصلت البشارة أيضاً بحصول الولد الذي كنتم تطلبونه من أول العمر إلى هذا الوقت وهذا تأويل في غاية الحسن . الثاني : يحتمل أنها كانت عظيمة الإنكار على قوم لوط لما كانوا عليه من الكفر والعمل الخبيث ، فلما أظهروا أنهم جاؤا لإهلاكهم لحقها السرور فضحكت . الثالث : قال إبراهيم عليه السلام لهم : { ألا تَأْكُلُونَ } قالوا : لا نأكل طعاماً إلا بالثمن ، فقال : ثمنه أن تذكروا اسم الله تعالى على أوله وتحمدوه على آخره ، فقال جبريل لميكائيل عليهما السلام : «حق لمثل هذا الرجل أن يتخذه ربه خليلاً» فضحكت امرأته فرحاً منها بهذا الكلام . الرابع : أن سارة قالت لإبراهيم عليه السلام أرسل إلى ابن أخيك وضمه إلى نفسك ، فإن الله تعالى لا يترك قومه حتى يعذبهم ، فعند تمام هذا الكلام دخل الملائكة على إبراهيم عليه السلام ، فلما أخبروه بأنهم إنما جاؤا لإهلاك قوم لوط صار قولهم موافقاً لقولها ، فضحكت لشدة سرورها بحصول الموافقة بين كلامها وبين كلام الملائكة . الخامس : أن الملائكة لما أخبروا إبراهيم عليه السلام أنهم من الملائكة لا من البشر وأنهم إنما جاؤا لإهلاك قوم لوط طلب إبراهيم عليه السلام منهم معجزة دالة على أنهم من الملائكة فدعوا ربهم بإحياء العجل المشوي فطفر ذلك العجل المشوي من الموضع الذي كان موضوعاً فيه إلى مرعاه ، وكانت امرأة إبراهيم

[١٠٤] تفسير البغوي - (ج ٤ / ص ١٨٨)
[١٠٥] تفسير البيضاوي لناصر البيضاوي - (ج ٣ / ص ١٠٨)

عليه السلام قائمة فضحكت لما رأت ذلك العجل المشوي قد طفر من موضعه . السادس : أنها ضحكت تعجباً من أن قوماً أتاهم العذاب وهم في غفلة . السابع : لا يبعد أن يقال إنهم بشروها بحصول مطلق الولد فضحكت ، إما على سبيل التعجب فإنه يقال إنها كانت في ذلك الوقت بنت بضع وتسعين سنة وإبراهيم عليه السلام ابن مائة سنة ، وإما على سبيل السرور . ثم لما ضحكت بشرها الله تعالى بأن ذلك الولد هو إسحق ومن وراء إسحق يعقوب . الثامن : أنها ضحكت بسبب أنها تعجبت من خوف إبراهيم عليه السلام من ثلاث أنفس حال ما كان معه حشمه وخدمه . التاسع : أن هذا على التقديم والتأخير والتقدير : وامرأته قائمة فبشرناها بإسحق فضحكت سروراً بسبب تلك البشارة فقدم الضحك ، ومعناه التأخير .[١٠٦]

{وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ (١٦)}[١٠٧]

{ عِشَاء يَبْكُونَ } أي متباكين أي مظهرين البكاء بتكلف لأنه لم يكن عن جزن لكنه يشبهه ، وكثيراً ما يفعل بعض الكذابين كذلك .[١٠٨]

والبكاء انفعال طبيعي غريزي فطريّ؛ ليس للإنسان فيه مجال اختيار؛ ومَنْ يريد أن يفتعله فهو يتباكى، بأن يَفْرُك عينيه، أو يأتي ببعض ريقه ويُقرِّبه من عينيه، ولا يستر ذلك إلا أن يكون الضوء خافتاً؛ لذلك جاءوا أباهم عشاء يُمثِّلون البكاء . والحق سبحانه حينما تكلم عن الخصائص التي أعطاها لذاته، ولم يُعْطِها لأحد من خلقه؛ أعلمنا أنه سبحانه هو الذي يميت ويحي، وهو الذي يُضحك ويُبْكي. والحق سبحانه هو القائل:{ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى * وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا }.[١٠٩]

ولا يوجد فَرْق بين ضحك أو بكاء إنسان إنجليزي وآخر عربي؛ ولا يوجد فرق بين موت أو ميلاد إنسان صيني وآخر عربي أو فرنسي؛ فهذه خصائص مشتركة بين كل البشر.

وإذا ما افتعل الإنسان الضحك؛ فهو يتضاحك؛ وإذا ما افتعل الإنسان البكاء فهو يتباكى؛ أي: يفتعل الضحك أو البكاء. والذي يفضح كل ذلك هو النهار.[١١٠]

{ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ (١١٠)}[١١١]

---

[١٠٦] تفسير الرازي ابو عبدالله الرازي - (ج ٨ / ص ٤٤٠.
[١٠٧] يوسف/١٦
[١٠٨] تفسير الألوسي - (ج ٨ / ص ٤٥٨)
[١٠٩] النجم: ٤٣-٤٤
[١١٠] تفسير الشعراوي - (ج / ص ١٥٩٩)
[١١١] المؤمنون/١١٠

{ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ (١٩) }[١١٢]

قوله تعالى : { فَتَبَسَّمَ ضاحكا مّن قَوْلِهَا } يعني تبسم شارعاً في الضحك (وآخذاً فيه) ، بمعنى أنه قد تجاوز حد التبسم إلى الضحك ، وإنما ضحك لأمرين : أحدهما : إعجابه بما دل من قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده (وشفقتهم) وعلى شهرة حاله وحالهم في باب التقوى ، وذلك قولها : { وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ } والثاني : سروره بما آتاه الله مما لم يؤت أحداً من سماعه لكلام النملة وإحاطته بمعناه .[١١٣]

{ فَتَبَسَّمَ ضاحكا مّن قَوْلِهَا } قراءة : « ضحكاً » وعلى قراءة الجمهور يكون { ضاحكاً } حالاً مؤكدة لأنه قد فهم الضحك من التبسم . وقيل : هي حال مقدّرة لأن التبسم أوّل الضحك . وقيل : لما كان التبسم قد يكون للغضب كان الضحك مبيناً له ، وقيل : إن ضحك الأنبياء هو التبسم لا غير ، وعلى قراءة يكون « ضحكاً » مصدراً منصوباً بفعل محذوف أو في موضع الحال ، وكان ضحك سليمان تعجباً من قولها وفهمها واهتدائها إلى تحذير النمل .[١١٤]

{ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ (١٥)} [١١٥]

{ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أبصارنا } أي سدت ومنعت من الأبصار حقيقة وما نراه تحيل لا حقيقة له.[١١٦]

قراءة{ سُكِّرَتْ } بالتخفيف ، والباقون مشددة الكاف :أي غشيت وسددت بالسحر هذا قول أهل اللغة قالوا : وأصله من السكر وهو سد الشق لئلا ينفجر الماء ، فكأن هذه الأبصار منعت من النظر كما يمنع السكر الماء من الجري ، والتشديد يوجب زيادة وتكثيراً ، وقيل : هو مأخوذ من سكر الشراب يعني أن الأبصار حارت ووقع بها من فساد النظر مثل ما يقع بالرجل السكران من تغير العقل فإذا كان هذا معنى التخفيف فسكرت بالتشديد يراد به وقوع هذا الأمر مرة بعد أخرى ، وقال أبو عبيدة : { سُكِّرَتْ أبصارنا } أي غشيت أبصارنا فوجب سكونها وبطلانها ، وعلى هذا القول أصله من السكون.[١١٧]

{ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) } [١١٨]

---

[١١٢] النمل/١٩

[١١٣] تفسير الرازي ابو عبدالله الرازي - (ج ١٢ / ص ٢٣)

[١١٤] فتح القدير للشوكاني - (ج ٥ / ص ٣٤٩)

[١١٥] الحجر/١٥

[١١٦] تفسير الألوسي - (ج ٩ / ص ٤٥٧)

[١١٧] تفسير الرازي ابو عبدالله الرازي - (ج ٩ / ص ٢٩١)

[١١٨] الصافات/١٠٣

{ أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ } صرعه على شقه فوقع جبينه على الأرض ، وأصل التل الرمي على التل وهو التراب المجتمع ثم عمم في كل صرع ، والجبين أحد جانبي الجبهة وشذ جمعه على أجبن وقياسه في القلة أجبنة ككثيب وأكثبة وفي الكثرة جبنان وجبن ككثبان وكثب.[١١٩]

وعن قتادة في اسلما اسلم ابراهيم ابنه واسماعيل نفسه { وتله للجبين } قال في القاموس تله صرعه والقاه على عنقه وخده . والجبين احد جانبي الجبهة فللوجه فوق الصدغ جبينان عن يمين الجبهة وشمالها ، قال الراغب اصل التل المكان المرتفع والتليل العنق وتله للجبين اسقطه على التل او على تليله ، وقال غيره صرعه على شقه فوقع جبينه على الارض لمباشرة الامر بصبر وجلد ليرضيا الرحمن ويحزنا الشيطان وكان ذلك عند الصخرة من منى او في الموضع المشرف على مسجد منى او في المنحر الذى ينحر فيه اليوم وروى ان ابليس عرض لإبراهيم عند جمرة العقبة فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب تم مضى ابراهيم لأمر الله تعالى وعزم على الذبح ومنه شرع رمى الجمرات في الحج فهو من واجبات الحج يجب بتركه الفدية باتفاق الائمة

قال في التأويلات النجمية ومن دقة النظر في رعاية آداب العبودية في حفظ حق الربوبية في القصة ان اسماعيل امر اباه ان يشد يديه ورجليه لئلا يضطرب اذا مسه ألم الذبح فيعاتب ثم لما هم بذبحه قال افتح القيد عنى فاني اخشى ان اعاتب .[١٢٠]

{ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ (٣) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ (٤) }[١٢١]

{ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ } قال: مرتين. { يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا } قال ابن عباس: ذليلا؟ وقال مجاهد، وقتادة: صاغرًا.{ وَهُوَ حَسِيرٌ } قال ابن عباس: يعني: وهو كليل. وقال مجاهد، وقتادة، والسدي: الحسير: المنقطع من الإعياء.

ومعنى الآية: إنك لو كررت البصر، مهما كررت، لانقلب إليك، أي: لرجع إليك البصر، { خَاسِئًا } عن أن يرى عيبًا أو خللا { وَهُوَ حَسِيرٌ } أي: كليل قد انقطع من الإعياء من كثرة التكرر، ولا يرى نقصًا.[١٢٢]

{ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) }[١٢٣]

---

[١١٩] تفسير الألوسي - (ج ١٧ / ص ٢٠٢)
[١٢٠] تفسير حقي - (ج ١٢ / ص ٣٠)
[١٢١] الملك/٣-٥
[١٢٢] تفسير ابن كثير - (ج ٨ / ص ١٧٧)
[١٢٣] المطففين/٣١، ٣٢

أنه تعالى حكى عنهم أربعة أشياء من المعاملات القبيحة فأولها : قوله : إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون أي يستهزئون بهم وبدينهم وثانيها : قوله : { وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ } أي يتفاعلون من الغمز ، وهو الإشارة بالجفن والحاجب ويكون الغمز أيضاً بمعنى العيب وغمزه إذا عابه ، وما في فلان غميزة أي ما يعاب به ، والمعنى أنهم يشيرون إليهم بالأعين استهزاء ويعيبونهم ، ويقولون : انظروا إلى هؤلاء يتعبون أنفسهم ويحرمونها لذاتها ويخاطرون بأنفسهم في طلب ثواب لا يتيقنونه وثالثها : قوله تعالى : { وَإِذَا انقلبوا إِلَى أَهْلِهِمْ انقلبوا فَكِهِينَ } معجبين بما هم فيه من الشرك والمعصية والتنعم بالدنيا ، أو يتفكهون بذكر المسلمين بالسوء ، قرأ عاصم في رواية حفص عنه : { فَكِهِينَ } بغير ألف في هذا الموضع وحده ، وفي سائر القرآن { فاكهين } بالألف وقرأ الباقون فاكهين بالألف ، فقيل : هما لغتان ، وقيل : فاكهين أي متنعمين مشغولين بما هم فيه من الكفر والتنعم بالدنيا وفكهين معجبين ورابعها : قوله تعالى : { وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُواْ إِنَّ هَؤُلاء لَضَالُّونَ } أي هم على ضلال في تركهم التنعم الحاضر بسبب طلب ثواب لا يدري هل له وجود أم لا ، وهذا آخر ما حكاه تعالى عن الكفار .[١٢٤]

{ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (٥٨) يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٥٩) }[١٢٥]

{ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ (١٧) }[١٢٦]

قوله : { ظل وجهه مسوداً } فالمعنى أنه يصير متغيراً تغير مغتم ، ويقال لمن لقي مكروهاً قد اسود وجهه غماً وحزناً ، وأقول إنما جعل اسوداد الوجه كناية عن الغم ، وذلك لأن الإنسان إذا قوي فرحه انشرح صدره وانبسط روح قلبه من داخل القلب ، ووصل إلى الأطراف ، ولا سيما إلى الوجه لما بينهما من التعلق الشديد ، وإذا وصل الروح إلى ظاهر الوجه أشرق الوجه وتلألأ واستنار ، وأما إذا قوي غم الإنسان احتقن الروح في باطن القلب ولم يبق منه أثر قوي في ظاهر الوجه ، فلا جرم يربد الوجه ويصفر ويسود ويظهر فيه أثر الأرضية والكثافة ، فثبت أن من لوازم الفرح استنارة الوجه وإشراقه ، ومن لوازم الغم كمودة الوجه وغبرته وسواده ، فلهذا السبب جعل بياض الوجه إشراقه كناية عن الفرح وغبرته وكمودته وسواده كناية عن الغم والحزن

[١٢٤] تفسير الرازي ابو عبدالله الرازي - (ج ١٦ / ص ٤١٤)
[١٢٥] النحل/٥٨، ٥٩
[١٢٦] الزخرف/١٧، ١٨

والكراهية ، ولهذا المعنى قال : { ظل وجهه مسوداً وهو كظيم } أي ممتلئ غماً وحزناً .[١٢٧]

ثم قال تعالى : { يتوارى من القوم من سوء } أي يختفي ويتغيب من سوء ما بشر به ، قال المفسرون : كان الرجل في الجاهلية إذا ظهر آثار الطلق بامرأته توارى واختفى عنا لقوم إلى أن يعلم ما يولد له فإن كان ذكراً ابتهج به ، وإن كان أنثى حزن ولم يظهر للناس أياماً يدبر فيها أنه ماذا يصنع بها؟ وهو قوله : { أيمسكه على هون أم يدسه في التراب } والمعنى : أيحسبه؟ والإمساك ههنا بمعنى بمعنى الحبس كقوله : { أمسك عليك زوجك }[١٢٨] وإنما قال : { أيمسكه } ذكره بضمير الذكران لأن هذا الضمير عائد على « ما » في قوله : { ما بشر به } والهون الهوان قال النضر بن شميل يقال إنه أهون عليه هوناً وهواناً ، وأهنته هوناً وهواناً.[١٢٩]

المبحث الخامس :

دلالة الوصف الرباني للجسد في القرآن الكريم .

{يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠)}[١٣٠]

يَكَادُ بَرْقُ الإِيمَانِ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ لِشِدَّةِ ضَوْئِهِ ، فَكُلَّما ظَهَرَ لَهُمْ شَيءٌ مِنَ الإِيمَانِ ، اسْتَأْنَسُوا بِهِ واتَّبَعُوهُ ، ثُمَّ تَعْرِضُ لَهُمُ الشُّكُوكُ فَتُظْلِمُ نُفُوسُهُمْ ، وَيَقِفُونَ حَائِرِينَ مُتَرَدِّدِينَ . وَكَذَلِكَ يَكُونُ حَالُ المُنَافِقِينَ مُتَقَاوِتِينَ فِي الدَّرَجَةِ يَوْمَ القِيَامَةِ . وَلَو شَاءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ، لِمَا تَرَكُوا مِنَ الحَقِّ بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ ، وَاللهُ وَاسِعُ القُدْرَةِ ، إِذا أَرَادَ شَيئاً فَعَلَهُ ، ولا يُعْجِزُهُ شيءٌ أَبَداً فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ .قَامَ - وَقَفَ فِي مَكَانِهِ .أَظْلَمَ عَلَيهِمْ - خَفِيَ عَلَيهِم البَرْقُ وَاسْتَتَرَ .يَخْطَفُ - يَذْهَبُ بِهَا بِسُرْعَةٍ .[١٣١]

قوله تعالى : { يَكَادُ البرق يَخْطَفُ أبصارهم } ، أي ضوء البرق ، يذهب ويختلس بأبصارهم من شدة ضوء البرق فكذلك نور إيمان المنافق يكاد يغطي على الناس كفره في سره ، حتى لا يعلموا كفره . وقد قيل : معناه يكاد أن يظهر عليهم نور الإسلام ، فيثبتون على ذلك .

ثم قال : { كُلَّمَا أضَاء لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ } ، أي كلما لمع البرق في الليلة المظلمة مضوا فيه ، { وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ } ، أي إذا ذهب ضوء البرق { قَامُواْ }

---

[١٢٧] تفسير الرازي ابو عبدالله الرازي - (ج ٩ / ص ٤١٠)
[١٢٨] الأحزاب : ٣٧
[١٢٩] تفسير الرازي ابو عبدالله الرازي - (ج ٩ / ص ٤١٠)
[١٣٠] البقرة/٢٠
[١٣١] أيسر التفاسير لأسعد حومد - (ج ١ / ص ٢٧)

متحيرين فكذلك المنافق ، إذا تكلم بلا إله إلا الله ، يمضي مع المؤمنين ، ويمنع بها من السيف ، فإذا مات بقي متحيراً نادماً . ويقال : معناه { يَكَادُ البرق يَخْطَفُ أبصارهم كُلَّمَآ أضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَآ أظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ وَلَوْ شَآءَ الله لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وأبصارهم إِنَّ الله على كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ }[١٣٢] أي كلما ظهر لهم دليل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وظهر لهم علاماته مالوا إليه ، وإذا أظلم عليهم ، أي إذا أصاب المسلمين محنة ، كما أصابتهم يوم أحد ، وكما أصابتهم يوم بئر معونة قاموا ، أي ثبتوا على كفرهم .

وروى أسباط ، عن السدي أنه قال : كان رجلان من المنافقين هربا من المدينة إلى المشركين ، فأصابهما من المطر الذي ذكر الله فيه ظلمات ورعد وبرق ، كلما أصابهما الصواعق جعلا أصابعهما في آذانهما فإذا لمع البرق مشيا في ضوئه ، وإذا لم يلمع لم يبصرا شيئاً ، فقاما مكانهما فجعلا يقولان : يا ليتنا لو أصبحنا فنأتي محمداً صلى الله عليه وسلم فنضع أيدينا في يده ، فأصبحا فأتياه فأسلما وحسن إسلامهما ، فضرب الله في شأن هذين المنافقين الخارجين مثلاً للمنافقين الذين كانوا بالمدينة ، ثم قال تعالى : { وَلَوْ شَاء الله لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وأبصارهم } ، قال بعضهم بسمعهم الظاهر الذي في الرأس وأبصارهم التي في الأعين ، كما ذهب بسمع قلوبهم ، وأبصار قلوبهم عقوبة لهم . قيل : معناه ، ولو شاء لجعلهم صماً وعمياً في الحقيقة ، كما جعلهم صماً وعمياً في الحكم . قد قيل : معناه ، ولو شاء الله لجعلهم صماً وعمياً في الآخرة ، كما جعلهم في الدنيا . وروي في إحدى الروايتين ، عن ابن عباس أنه قال : هذا من المكتوم الذي لا يفسر . ثم قال تعالى : { إِنَّ الله على كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ } من العقوبة وغيرها .[١٣٣]

{فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ }[١٣٤]

{فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩١)}[١٣٥]

{وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٦٧) }[١٣٦]

{وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩٤) }[١٣٧]

{فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٣٧)}[١٣٨]

{ جاثمين } هامدين لا يتحركون موتى . يقال : الناس جثم ، أي قعود لا حراك بهم ولا ينبسون نبسة . ومنه المجثمة التي جاء النهي عنها ، وهي البهيمة تربط وتجمع قوائمها لترمى.[١٣٩]

---

[١٣٢] البقرة : ٢٠

[١٣٣] بحر العلوم للسمرقندي - (ج ١ / ص ٢٥)

[١٣٤] الأعراف/٧٨

[١٣٥] الأعراف/٩١

[١٣٦] هود/٦٧

[١٣٧] هود/٩٤

[١٣٨] العنكبوت/٣٧

{ فأخذتهم الرجفة } قيل : الزلزلة ، وقيل : أهلكوا بالنار يعني نزلت عليهم نار من السماء فأهلكتهم ، وقيل : تزلزلت أرضهم وسقطت ديارهم ، وقيل : زلزلوا فأحاطت بهم النار فهلكوا ، وقيل : جاءهم حرّ شديد فدخلوا البيوت فدخل عليهم ثم جاءت سحابة فيها ريح طيب فخرجوا إلى البرية حتى اجتمعوا تحت السحابة رجالُهم ونساؤهم وصبيانهم فألهبها الله تعالى ناراً ، وزلزلت الأرض ، فاحترقوا وصاروا رماداً.[١٤٠]

قال تعالى : { فَأصْبَحُواْ في دِيَارِهِمْ جاثمين } والجثوم هو السكون يقال للطير إذا باتت في أوكارها أنها جثمت ، ثم إن العرب أطلقوا هذا اللفظ على ما لا يتحرك من الموت فوصف الله تعالى هؤلاء المهلكين بأنهم سكنوا عند الهلاك ، حتى كأنهم ما كانوا أحياء وقوله : { كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا } أي كأنهم لم يوجدوا ، والمغنى المقام الذي يقيم الحي به يقال : غني الرجل بمكان كذا إذا أقام به .[١٤١]

{ جاثمين } خامدين ميتين لا تحركون والمراد كونهم كذلك عند ابتداء نزول العذاب بهم من غير اضطراب وحركة كما يكون ذلك عند الموت المعتاد . ولا يخفى ما فيه من الدلالة على شدة الاخذ وسرعته اللهم انا نعوذ بك من حلول غضبك . وجثومهم سقوطهم على وجوههم او الجثوم السكون يقال للطير اذا باتت في اوكارها جثمت ثم ان العرب اطلقوا هذا اللفظ على ما لا يتحرك من الموت

قال في بحر العلوم يقال الناس جثم أي قعود لا حراك بهم ولا ينسبون بهم ولا ينسبون بنسبة ومنه المجثمة التي نهى الشرع عنها وهى البهيمة تربط وتوجمع قوائمها لترمى .[١٤٢]

{وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ (١٠)}[١٤٣]

{وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ (٣١) }[١٤٤] وهنا يقول سبحانه: { وَأَلْقِ عَصَاكَ } يعني: إنْ كانت العصا بالنسبة لك بهذه البساطة، وهذه مهمتها عندك فلها عندي مهمة أخرى، فانظر إلى مهمتها عندي، وإلى ما لا تعرفه عنها.{ وَأَلْقِ عَصَاكَ } فلمّا ألقى موسى عصاه وجدها { تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ } يعني: حية تسعى وتتحرك، والعجيب أنها لم تتحول إلى شيء من جنسها، فالعصا عود من

---

[١٣٩] الكشاف - (ج ٢ / ص ٢٥٠)
[١٤٠] تفسير الأعقم - زيدي - (ج ١ / ص ٢١٤)
[١٤١] تفسير الرازي ابو عبدالله الرازي - (ج ٨ / ص ٤٣٧)
[١٤٢] تفسير حقي - (ج ٥ / ص ٤٦٣)
[١٤٣] النمل/١٠
[١٤٤] القصص/٣١، ٣٢

خشب، كان فرعاً في شجرة، فجنسه النبات ولما قُطعت وجفَّتْ صارت جماداً، فلو عادت إلى النباتية يعني: إلى الجنس القريب منها واخضرتْ لكانت عجيبة.

أمّا الحق ـ تبارك وتعالى ـ فقد نقلها إلى جنس آخر إلى الحيوانية، وهذه قفزة كبيرة تدعو إلى الدهشة بل والخوف، خاصة وهي { تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ } أي: تتحرك حركة سريعة هنا وهناك.

وطبيعي في نفسية موسى حين يرى العصا التي في يده على هذه الصورة أنْ يخاف ويضطرب{ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى * قُلْنَا لاَ تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الأَعْلَى }.[١٤٥]

وحين تتتبع اللقطات المختلفة لهذه القصة تجدها مرة (جان) ومرة (حية) ومرة (ثعبان)، وهي كلها حالات للشيء الواحد، فالجان فَرْخ الثعبان، وله مِن خفة الحركة ما ليس للثعبان، والحية هي الثعبان الضخم.

وقوله تعالى { وَلَّى مُدْبِراً } يعني: انصرف عنها وأعطاها ظهره { وَلَمْ يُعَقِّبْ } نقول: فلان يُعقِّب يعني: يدور على عَقِبه ويرجع، والمعنى أنه انصرف عنها ولم يرجع إليها؛ لذلك ناداه ربه سبحانه وتعالى: { يامُوسَى لاَ تَخَفْ إِنِّي لاَ يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ }.

ونلحظ هنا نداءين اثنين يذكر فيهما، المنادى موسى ـ عليه السلام ـ وكأنهما تعويض للنداء السابق الذي نُودِي فيه بالخبر{ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا }.[١٤٦]

وعلَّة عدم الخوف { لاَ تَخَفْ } ليعلمه أنه سيُضطر إلى معركة، فليكُنْ ثابتَ الجأش لا يخاف لأنّه لا يحارب شخصاً بمفرده، إنما جمعاً من السَّحرة جُمِعوا من كل أنحاء البلاد.[١٤٧]

{أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٥) }[١٤٨]

{ يثنون صدورهم } : أي يطأطئون رؤوسهم فوق صدورهم ليستتروا عن الله في زعمهم .

{ يستغشون ثيابهم } : يغطون رؤوسهم ووجوههم حتى لا يراهم الله في نظرهم الباطل .[١٤٩]

{ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ } يزورّون عن الحق وينحرفون عنه؛ لأن من أقبل على الشيء استقبله بصدره ، ومن ازورّ عنه وانحرف ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه { لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ } يعني : ويريدون ليستخفوا من الله ، فلا يطلع

---

[١٤٥] طه: ٦٧ـ٦٨

[١٤٦] النمل: ٨

[١٤٧] تفسير الشعراوي - (ج / ص ٣٠٩٧)

[١٤٨] هود/٥

[١٤٩] أيسر التفاسير للجزائري - (ج ٢ / ص ١٥٦)

رسوله والمؤمنين على ازورارهم . ونظير إضمار يريدون - لقود المعنى إلى إضماره - الإضمار في قوله تعالى : { اضرب بّعَصَاكَ البحر فانفلق }[١٥٠] معناه فضرب فانفلق . ومعنى { ألا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ } ويزيدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم أيضاً ، كراهة لاستماع كلام الله تعالى : كقول نوح عليه السلام : { جَعَلُواْ أصابعهم في ءاذانهم واستغشوا ثِيَابَهُمْ }[١٥١] ثم قال : { يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ } يعني أنه لا تفاوت في علمه بين إسرارهم وإعلانهم ، فلا وجه لتوصلهم إلى ما يريدون من الاستخفاء ، والله مطلع على ثنيهم صدورهم واستغشائهم ثيابهم ، ونفاقهم غير نافق عنده . روي أنها نزلت في الأخنس بن شريق وكان يظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم المحبة وله منطق حلو وحسن سياق للحديث ، فكان يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم مجالسته ومحادثته ، وهو يضمر خلاف ما يظهر . وقيل : نزلت في المنافقين . وقرئ : «تثنوني صدورهم» ، «وأثنوني» من الثني ، كاحلولى من الحلاوة ، وهو بناء مبالغة ، قرئ بالتاء والياء . وعن ابن عباس لتثنوني . وقرئ تثنونّ وأصله تثنونن «تفعوعل» من الثن وهو ما هش وضعف من الكلأ ، يريد : مطاوعة صدورهم للثني ، كما ينثني الهش من النبات . أو أراد ضعف إيمانهم ومرض قلوبهم . وقرئ : «تثنئن» من اثنأن «افعال» منه ، ثم همز كما قيل : ابيأضت ، وادهأمت وقرىء : «تثنوي» بوزن ترعوي .[١٥٢]

{ وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٥) }[١٥٣]

قوله : { وَأُوْلَئِكَ الأغلال فِى أعناقهم } وفيه قولان : الأول : قال أبو بكر الأصم : المراد بالأغلال : كفرهم وذلتهم وانقيادهم للأصنام ، ونظيره قوله تعالى : { إِنَّا جَعَلْنَا في أعناقهم أغلالا }[١٥٤] قال الشاعر : لهم عن الرشد أغلال وأقياد ...

ويقال للرجل : هذا غل في عنقك للعمل الرديء معناه : أنه لازم لك وأنك مجازى عليه بالعذاب . قال القاضي : هذا وإن كان محتملاً إلا أن حمل الكلام على الحقيقة أولى ، وأقول : يمكن نصرة قول الأصم بأن ظاهر الآية يقتضي حصول الأغلال في أعناقهم في الحال وذلك غير حاصل وأنتم تحملون اللفظ على أنه سيحصل هذا المعنى ونحن نحمله على أنه حاصل في الحال إلا أن

---

[١٥٠] الشعراء : ٦٣
[١٥١] نوح : ٧
[١٥٢] الكشاف - (ج ٣ / ص ٦٦)
[١٥٣] الرعد/٥
[١٥٤] يس : ٨

المراد بالأغلال ما ذكرناه ، فكل واحد منا تارك للحقيقة من بعض الوجوه فلم كان قولكم أولى من قولنا .[١٥٥]

وقوله : { وَجَعَلْنَا الأغلال في أعْنَاقِ الذين كَفَرُواْ } إشارة إلى كيفية العذاب وإلى أن مجرد الرؤية ليس كافياً بل لما رأوا العذاب قطعوا بأنهم واقعون فيه فتركوا الندم ووقعوا فيه فجعل الأغلال في أعناقهم .[١٥٦]

{ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) }[١٥٧]

{ إِذِ الأغلال في أعناقهم والسلاسل يُسْحَبُونَ ، في الحميم } والمعنى : أنه يكون في أعناقهم الأغلال والسلاسل ، ثم يسحبون بتلك السلاسل في الحميم.[١٥٨]

فقال عز وجل : { إِذِ الاغلال في أعناقهم } يعني : ترد أيمانهم إلى أعناقهم { والسلاسل يُسْحَبُونَ } يعني : تجعل السلاسل في أعناقهم ، يُسْحَبُونَ ، ويجرون ، { في الحميم } يعني : في ماء حار ، قد انتهى حره . قال مقاتل { يُسْحَبُونَ في الحميم } يعني : في حر النار . وقال الكلبي : يعني : في الماء الحار .{ ثُمَّ فِى النار يُسْجَرُونَ } أي : يوقدون ، فصاروا وقوداً . وروي عن ابن عباس أنه قرأ : { والسلاسل } بنصب اللام ، { يُسْحَبُونَ } بنصب الياء ، يعني : أنهم يسحبون السلاسل . وقال : هو أشد عليهم . وقراءة العامة { والسلاسل } بضم اللام { يُسْحَبُونَ } بالضم على معنى فعل ما لم يسم فاعله . والمعنى : أن الملائكة يسحبونهم في السلاسل .[١٥٩]

{ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا (١٠٩) }[١٦٠]

{ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا (٥٨) }[١٦١]

{ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (١٥) تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (١٦) }[١٦٢]

فإن قلت : ما معنى الخرور للذقن؟ قلت : السقوط على الوجه ، وإنما ذكر الذقن وهو مجتمع اللحيين ، لأنّ الساجد أول ما يلقى به الأرض من وجهه

---

[١٥٥] تفسير الرازي ابو عبدالله الرازي - (ج ٩ / ص ١٤٣)
[١٥٦] تفسير الرازي ابو عبدالله الرازي - (ج ١٢ / ص ٤٢٤)
[١٥٧] الإسراء/١٠٧
[١٥٨] تفسير الرازي ابو عبدالله الرازي - (ج ١٣ / ص ٣٥٧)
[١٥٩] بحر العلوم للسمرقندي - (ج ٤ / ص ٦٥)
[١٦٠] الإسراء/١٠٩
[١٦١] مريم/٥٨
[١٦٢] السجدة/١٥، ١٦

الذقن ، فإن قلت : حرف الاستعلاء ظاهر المعنى إذا قلت خرّ على وجهه وعلى ذقنه ، فما معنى اللام في خرّ لذقنه ولوجهه؟ قال :

فخَرَّ صَرِيعاً لِلْيَدَيْنِ وَلِلْفَمِ ... قلت : معناه جعل ذقنه ووجهه للخرور واختصه به؛ لأن اللام للاختصاص . فإن قلت : لم كرّر يخرون للأذقان؟ قلت : لاختلاف الحالين وهما خرورهم في حال كونهم ساجدين ، وخرورهم في حال كونهم باكين .[١٦٣]

الخرور السقوط بسرعة ، والأذقان جمع ذقن وهو مجتمع اللحيين ويطلق على ما ينبت عليه من الشعر مجازاً وكذا يطلق على الوجه تعبيراً بالجزء عن الكل قيل وهو المراد وروي عن ابن عباس فكأنه قيل يسقطون بسرعة على وجوههم { سُجَّدًا } تعظيماً لأمر الله تعالى أو شكراً لإنجاز ما وعد به في تلك الكتب من بعثتك؛ والظاهر أن هنا خروراً وسجوداً على الحقيقة ، وقيل : لا شيء من ذلك وإنما المقصود أنهم ينقادون لما سمعوا ويخضعون له كمال الانقياد والخضوع فاخرج الكلام على سبيل الاستعارة التمثيلية ، وفسر الخرور للأذقان بالسقوط على الوجوه الزمخشري ثم قال : وإنما ذكر الذقن لأنه أول ما يلقى الساجد به الأرض من وجهه .[١٦٤] وقيل : فيه نظر لأن الأول هو الجبهة والأنف ثم وجه بأنه إذا ابتدأ الخرور فاقرب الأشياء من وجهه إلى الأرض هو الذقن ، وكأنه أريد أول ما يقرب من اللقاء ، وجوز أن تبقى الأذقان على حقيقتها والمراد المبالغة في الخشوع وهو تعفير اللحا على التراب أو أنه ربما خروا على الذقن كالمغشي عليهم لخشية الله تعالى ، وقيل : لعل سجودهم كان هكذا غير ما عرفناه وهو كما ترى .

وقال صاحب الفرائد المراد المبالغة في التحامل على الجبهة والأنف حتى كأنهم يلصقون الأذقان بالأرض وهو وجه حسن جداً واللام على ما نص عليه الزمخشري للاختصاص وذكر أن المعنى جعلوا أذقانهم للخرور واختصوها به .[١٦٥]

ومعنى هذا الاختصاص على ما في «الكشف» أن الخرور لا يتعدى الأذقان إلى غيرها من الأعضاء المقابلة وحقق ذلك بما لا مزيد عليه . واعترض القول بالاختصاص بأنه مخالف لما سبق من قوله : إن الذقن أول ما يلقى الساجد به الأرض وأجيب بما أجيب . وتعقبه الخفاجي بأنه مبني على أن الاختصاص الذي تدل عليه اللام بمعنى الحصر وليس كذلك وإنما هو بمعنى تعلق خاص ولو سلم فمعنى الاختصاص بالذقن الاختصاص بجهته ومحاذيه وهي جهة السفل ولا شك في اختصاصه به إذ هو لا يكون لغيره فمعنى {

---

[١٦٣] الكشاف - (ج ٣ / ص ٤٩١)
[١٦٤] تفسير الألوسي - (ج ١١ / ص ١٢٧)
[١٦٥] المصدر نفسه - (ج ١١ / ص ١٢٧)

يَخِرُّونَ لِلأذْقَانِ } يقعون على الأرض عند التحقيق ، والمراد تصوير تلك الحالة .[١٦٦]

أهم النتائج

- الدلالة : هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر ، والشيء الأول هو الدال ، والثاني هو المدلول ، وكيفية دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول محصورة في عبارة النص ، وإشارة النص ، ودلالة النص ، واقتضاء النص.
- حركة الرأس لها معان عديدة ، والايماء به يراد منه أمرا يغني به عن الكلام ،ومنها : الإنغاض هو: التحرك من أسفل إلى أعلى، أو من أعلى إلى أسفل، ومنه قيل للظليم -وهو ولد النعامة -: نغضًا؛ لأنه إذا مشى عَجل في مشيته وحَرَك رأسه.و { مُهْطِعِينَ } مسرعين من قبورهم إلى إسرافيل إذ يدعوهم من صخرة بيت المقدس وهم مع ذلك فى ذلك واستكانة كإسراع الأسير ونحوه وذلك مخالف لحال الدنيا فإن الشاخص فيها يبقى واقفاً وذلك هو الراجح.
- وحركة اليد لها معان عديدة ومنها (عضوا عليكم الأنامل من الغيظ) والمعنى : أنه إذا خلا بعضهم ببعض أظهروا شدة العداوة ، وشدة الغيظ على المؤمنين حتى تبلغ تلك الشدة إلى عض الأنامل ، كما يفعل ذلك أحدنا إذا اشتد غيظه وعظم حزنه على فوات مطلوبه.
- وتعابير الوجه لها معان عديدة ومنها { فَضَحِكَتْ } سروراً بزوال الخيفة أو بهلاك أهل الخبائث . أو كان ضحكها ضحك إنكار لغفلتهم وقد أظلهم العذاب . { عِشَاء يَبْكُونَ } أي متباكين أي مظهرين البكاء بتكلف لأنه لم يكن عن جزن لكنه يشبهه ، وكثيراً ما يفعل بعض الكذابين كذلك.وغيرها
- وحركة الجسد كله ايضا له معان عديدة منها { جاثمين } هامدين لا يتحركون موتى . يقال : الناس جثم ، أي قعود لا حراك بهم ولا ينبسون نبسة . ومنه المجثمة التي جاء النهي عنها ، وهي البهيمة تربط وتجمع قوائمها لترمى .وغيرها .

conclusicn

- A Significance: It is the fact that the thing condition is oblige to be enlightened of science in order to enlighten another science else, the first thing is the signifier, and the second is the signified, and how to denote the word to the meaning in term of the origins scholar limited in

[١٦٦] المصدر نفسه

text of the phrase,text of the reference, text of the significance, and text of the requirement.

- The head movement has several meanings,and the nodding means that you want something without speaking but by signal. Alenghadh is: to move the head from bottom to top, or from top to bottom, and it was called to the DHALEEM - a SON OF Ostrich -: NAGHDH; because when he walk he speeds up and nods his head.And so the word {Muhteen} hurried from their graves to ISRAFEEL as inviting them to rock of the HOLLY HOUSE, like the preaso when he submits,and this is contrary in life which the person remains standing and this is the most correct.

- The movement of the hand has several meanings, including (they bite their fingers of angry),which means:when they meat each other privacy,they show you intensity of hostility, and intensity of anger,as if one of us has intensified his anger and sadness about what he requiers so too.
- facial expressions have several meanings, including {} laughed pleasure demise Alkhifah doom or evil people. Or was laughing laughter denial of heedlessness has Ozlhm torment. {} Dinner crying any tears Mtbakin any showing a cost because it was not about Dzn but he looks like him, and often does some liars as well. Etc.
- The movement of the whole body also has several meanings, including cowering} {Hamden do not move the dead. Said: People perch, not any failure of their mobility nor Anpson Bandwidth Gbps. And it Almjtma which came forbidding them, which connects the beast and gathering lists of thrown, and others.

المصادر

- أحكام القرآن، أحمد بن علي الرازي الجصاص أبو بكر ،الناشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت ، ١٤٠٥ تحقيق : محمد الصادق قمحاوي.
- أيسر التفاسير ،المؤلف : أسعد حومد ،مصدر الكتاب : موقع التفاسير http://www.altafsir.com
- البحر المديد ـ موافق للمطبوع ،المؤلف : أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي أبو العباس ،دار النشر / دار الكتب العلمية ـ بيروت الطبعة الثانية / ٢٠٠٢ م ـ ١٤٢٣ هـ.
- التحرير والتنوير ـ الطبعة التونسية ،المؤلف : الشيخ محمد الطاهر بن عاشور
دار النشر : دار سحنون للنشر والتوزيع ـ تونس ـ ١٩٩٧ م.
- التعريفات ، اسم المؤلف: علي بن محمد بن علي الجرجاني ، دار النشر : دار الكتاب العربي - بيروت - ١٤٠٥ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : إبراهيم الأبياري
- التفسير الميسر ،المؤلف : مجموعة من العلماء - عدد من أساتذة التفسير تحت إشراف الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ،مصدر الكتاب : موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف .
- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ، اسم المؤلف: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م ، الطبعة : الأولى
- تفسير القرآن العظيم ، اسم المؤلف: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء ، دار النشر : دار الفكر - بيروت – ١٤٠١
- تفسير البغوي ، اسم المؤلف: البغوي ، دار النشر : دار المعرفة - بيروت ، تحقيق : خالد عبد الرحمن العك
- تفسير البيضاوي ، اسم المؤلف: البيضاوي ، دار النشر : دار الفكر – بيروت
- الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، اسم المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ، دار النشر : مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت
- تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم ، اسم المؤلف: نصر بن محمد بن أحمد أبو الليث السمرقندي ، دار النشر : دار الفكر - بيروت ، تحقيق : د.محمود مطرجي
- تاج العروس من جواهر القاموس ، اسم المؤلف: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ، دار النشر : دار الهداية ، تحقيق : مجموعة من المحققين

- الجامع لأحكام القرآن : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى : ٦٧١ هـ(: هشام سمير البخاري : دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية ،الطبعة : ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، اسم المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر ، دار النشر : دار الفكر - بيروت – ١٤٠٥
- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، اسم المؤلف: علي بن أحمد الواحدي أبو الحسن ، دار النشر : دار القلم ، الدار الشامية - دمشق ، بيروت - ١٤١٥ ، الطبعة : الأولى ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي
- لسان العرب ، اسم المؤلف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، دار النشر : دار صادر - بيروت ، الطبعة : الأولى
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، اسم المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي
- لمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، اسم المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ، دار النشر : دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م ، الطبعة : الاولى ، تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد .
- النكت والعيون (تفسير الماوردي) ، اسم المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري ، دار النشر : دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - لا يوجد ، الطبعة : لا يوجد ، تحقيق : السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم.
- الكتاب : الوجيز للواحدي، المصدر: موقع شبكة مشكاة الإسلامية http://www.almeshkat.net/